


تأليف

# الدكتور جوستاف لوبون

تعريب المرحوم

# أحمد فتحي زغلول باشا

تولى مراجعته وطبعه ونشره




يطلب من مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة بمصر

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

١٣٣٢ = ١٩١٤

# جوامع الكلم

تأليف

الدكتور جوستاف لوبون

تعريب المرحوم

أحمد فتحي زغلول باشا

تولى مراجعته وطبعه ونشره




يطلب من مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة بمصر

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

١٣٣٢ = ١٩١٤



المرحوم احمد فتحى زغلول باشا

( ولد سنة ١٨٦٣ – وتوفى سنة ١٩١٤ )

الى

روح المرحوم

# احمد فتحي زغلول

تحية وسلاماً

وما هذا السفر الاَّ قبس من نور تلك الروح
التي أضاءت العالم حيناً فاستنار بهديها ،
ولماَّ غابت لم يَغِبْ عنهُ نورها وفضلها

الناشر

مصر في ١٥ ابريل سنة ١٩١٤ صالح جودت

## ترجمة

# حياة المرحوم احمد فتحي زغلول باشا

وُلد رحمهُ الله ببلاد الأرز غرباً في يوم ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٣ من بيت كريم اشتهر بين بيوتات الغربية بما أنجب من الرجال. ونشأ رحمهُ الله محبًّا للعمل فتلقى علومه الابتدائية والثانوية والعالية بمصر ثم أوفدته نظارة المعارف الى أوروبا فأتمّ بها علومه ونال شهادة الحقوق من فرنسا بتفوّق عظيم على اقرانه

ودخل في خدمة الحكومة المصرية عقب عودته من أوروبا سنة ١٨٨٧ فتعين مساعداً بقلم قضايا نظارة الداخلية، ثم رئيساً لنيابة أسيوط ( سنة ١٨٨٩ )، فرئيساً للنيابة بالوجه البحري فمندوباً في لجنة المراقبة القضائية (سنة ١٨٩٣)، وفي تلك السنة نقل رئيساً لمحكمة المنصورة الأهلية، ثم رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الأهلية ( سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٧ )

وكان في جميع أدوار حياته القضائية مثال الجد والاستقامة، والذكاء وحسن الادارة، وله من بديع الاحكام ما يصلح أن يكون نبراساً للقضاء[1]

---

(١) وقد عزم الناشر على جمع هذه الأحكام ونشرها مرتبة حسب ابواب القانون تخليداً لذكر واضعها وتعميماً لفائدتها

وفي ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٧ عهدت اليه حكومة الجناب العالي بمنصب وكيل الحقانية فلبث فيه الى أن انتقل الى رحمة ربهِ في ٢٧ مارس سنة ١٩١٤

وكان في وظيفته الأخيرة يرجع اليه في كل قانون يسن سواء كان صادراً من نظارة الحقانية أو من المصالح الأخرى وكان رأيه الفصل في كل مشكلة من مشكلات التقنين والتشريع . واليه يرجع الفضل في اصلاح أحوال المحاكم الشرعية بما اشترك في وضعه لها من لوائح الترتيب والاجراآت ، وفي وضع النظام الحديث للأزهر الشريف والمعاهد الدينية الاسلامية . كما أن له يداً لا تنكر في وضع قوانين محاكم الاخطاط ، والقانون النظامي وقانون الانتخاب الجديدين ، وغير ذلك من القوانين التي لم تزل في عالم المشروعات كقانون الوصاية والقوامة والحجر ، وقانون التركات ، وقانون المرافعات الجديد

ولا يقلّ عن ذلك فضله على أمته بما أخرج لها من الأسفار العلمية والادبية التي مهدت لها طريق حياتها الاجتماعية . اذ كان رحمه الله بالرغم من ضعف صحته ، قوي الأرادة ، صبوراً على العمل ، لم يدخر أوقات فراغه القصيرة لإراحة بدنه المنهوك ، بل بذلها في سبيل نفع بلاده منقباً تارة في كتب الافرنج ليترجم منها

ما يراه صالحاً لقومه، ومكبًّا تارة على التأليف والتدوين ليبرز للناس ما يجيش في نفسه من الخواطر وما يفيض به ينبوع علمه الغزير

فمما ترجم : كتاب أصول الشرائع لبنتام ، والاسلام للكونت ده كستري، وسر تقدم الانكليز السكسونيين لادمون ديمولان، وروح الاجتماع ، وسر تطور الأمم ، وجوامع الكلم ( وهوهذا ) للدكتور جوستاف لوبون ، ورسالة من أمير الى سلطان للمغفور له مصطفى فاضل باشا ، وغير ذلك مما لم يتم أو لم ينشر

ومما وضع : رسالة التزوير في الاوراق ، وكتاب المحاماة، وشرح القانون المدني

وقد عرف رجال العلم والأدب فضل المترجم رحمه الله فأقاموا له يوم ٢٧ يونيه سنة ١٩١٣ حفلة تكريم عظيمة بدار الجامعة المصرية كما اجتمعوا في يوم الاربعين من وفاته بدار الاوبرا الخديوية معددين حسناته ومودعين فيه أملاً كبيراً قد أفل، وقوة من قوى الوطن قد زالت ، ومستمطرين غيث الرحمة على قبره الكريم الذي ضم اليه التقى والحجا والفضل والأدب

ففي ذمة الله يا خير راحل، وأجزل الله أجر الأمة المصرية لمصابها في خير ابنائها العاملين ؟

٨ مايو سنة ١٩١٤ — صالح جودت

## مقدّمة المؤلِّف

الغرض من هذا الكتاب تلخيص بعض الأفكار المنثورة في مؤلَّفاتي على اختلاف أنواعها، وإبرازها في صورة قضايا جامعة. لأنَّ الصِّيَغَ المختصرة تأخذ باللبّ، وتبقى في الذاكرة. ولذلك شاعت جوامع الكَلِم في عالم الأدب

يتناول العقل اكثر الحقائق المقرَّرة عندنا، أعني ما يرتسم فيهِ من صوَر المعلومات على شكل أفكارٍ موجزة. وما فتىء الناس يلخّصون تجاربهم في قضايا وحِكَم تُرْسَل أمثلةً، هي جوامع كَلِم الأمم. فالمرء يفكّر بواسطة القضايا الموجزة، ويسير في حياتهِ مدفوعاً بها. ذلك لأنها تعفيهِ من إطالة التفكير قبل الإقدام على فعل ما يريد

بجانب هذه المزايا مضارٌّ. فالمَثَل خلاصة تقريرات ينبغي للمرء أن يستحضرها. فاذا سهل تصوُّر الدليل، كان المَثل صيغة من البديهيّ. واذا عَسُرَ تناوُل ذلك، تعذّر فهْم المراد منهُ. ويظهر من ذلك أنهُ لا يفيد الاَّ في آستحضار الحقائق الإجمالية البديهية

غالباً . وذلك هو الواقع في معظم الأمثلة . ولكنني لم أحجم عن ضم بعض القضايا ، وان صَعُبَ ادراك الغرض منها وحدها لأول وهلة ، لأنها مبسوطة في مؤلفاتي ، فهذا المختصر جامعها

جوستاف لوبون

باريس : مارس سنة ١٩١٣

# الكتاب الاول

## الحياة الشاعرة

### ١

### الخُلُق والذّات

المرء مُسيَّر بخُلقهِ لا بذكائهِ

* * *

تتكوَّن الذاتية من عناصرٍ متنافرة غالباً ، فوَحدتها صناعية كوَحدة الجيش

* * *

روح الفرد مؤلَّفة من أرواحٍ مجتمعة : روح الشعب ، وروح العائلة ، وروح الفريق الذي هو فيهِ عادة . وقلَّما أفلت من هذا الجمع المطبق عليهِ

* * *

سبب تغيُّر الخُلق تغيُّراً فجائيًّا ، طروء حوادث من شأنها ايقاظ احدى الأرواح الكامنة فينا

* * *

من المتعذّر الحكم على مشاعر الإنسان بما قد يأتيهِ في أمرٍ معيَّنٍ. فالمرء في حال ليس هو هو في جميع الأحوال

* * *

انما يُعرف المرء عند عظائم الأمور، ولاسيَّما حين الفتنة (الثورة) فهناك تظهر مكنونات خُلقهِ

* * *

أصل ثبات الخُلق ثبات البيئة

* * *

قلَّما تكون الأسباب التي ينتحلها المرء لأعماله هي الداعية اليها حقيقة . وانما هي تصلح لتعليل نزعاتهِ الداعية الى العمل الصادرة عن المشاعر أو التديُّن

* * *

سبب تناقُض خُلق المرء ، راجع في الغالب الى مغايرة ارادتهِ الشاعرة لإرادتهِ اللاَّ تنبهُّيَّة

* * *

قد تكون الفطنة والإرادة اللاَّ تنبهُّيَّتان ، أرقى من الفطنة والإرادة الشاعرتين . لذلك تجد مِنَ الناس مَنْ سقُمَ رأيه ، وحَسُنَ عمله

* * *

مَنْ ظَنَّ لغيره مِنَ المشاعر ما عرفهُ لذاتهِ ، فقد سَدَّ على نفسهِ باب معرفة الناس

* * *

العادة تهدي المرء في كل يوم الى ما يجب التفكُّر فيهِ وقوله وعمله

* * *

المتردّد لا يسير بمقتضى رغباتهِ ، بل بمقتضى ما يفترضهُ من ذلك لنفسه وقت اضطراره للعمل .

* * *

مَنْ لم يُزاحِم بإرادتهِ ، أضرَّ غالباً بسكونهِ

* * *

ليس الذي تُكبر الجماعات شأنهُ مُتَّصِفاً حتماً بما يُعزى اليهِ من الأخلاق . ولكنهُ كثيراً ما يكسبها في النِّهاية

* * *

قلَّما تترتَّب عظائم الأعمال على مجهودٍ عظيم . ولكنها في الغالب ثمرة مجهودات صغيرة

* * *

مَثَلُ « منْ قَدِرَ على الكثير قَدِرَ على القليل » ليس صحيحاً دائماً . فذو العقل الكبير ينجح في العظائم ، اكثر مما ينجح في الصغائر

* * *

الغرور علّة رضا البليد عن نفسهِ، لأنهُ يسهّل عليهِ أن يرى لنفسه من الفضائل ما لا يكون لهُ أبداً

***

مَنْ وثق من نفسهِ، غير محتاجٍ الى مدح غيرهِ إيَّاهُ. ومَنْ طلب الثناء، فقد دلَّ على ارتيابهِ في قيمة نفسهِ

***

مَنْ انحاز لمذهب، فقد أضاع ذاتيَّتهُ. ومَنْ لم يكن من فريقٍ فلا يطمحنَّ الى النفوذ في الناس

***

أخطأ مَنْ قال: ان كبار الأفكار تأتي من القلب. فمصدرها العقل، وانما هي تستمدُّ من القلب قوَّتها

***

قلَّما اجتمع لامرء خُلُق وذكاء. لذلك ينبغي لهُ أن يختار أصدقاءهُ من أهل الخُلق، ومعاشريهِ من أهل الذكاء

***

روح مَنْ كان سريع التأثُّر كالبحر المائج: تنعكس فيـهِ أشعَّة الأشياء في كل يوم بلون جديد

***

ما أشبهَ العقول الكبيرة بالنباتات الضخمة التي تعظم بالمعالجة ، ويرجع خلفها على الدوام الى المثال الوسط لنوعها

* * *

لا يملك الإنسان رغباته ، ولكنهُ يملك ارادته غالباً

* * *

لا شيء يقف أمام إرادة قوية دائمة ، حتى الطبيعة ، حتى البشر ، حتى القدَر

* * *

مَن كان لهُ إرادة قوية ، غلب أن يكون له رغبة قوية تدعمها فالرغبة روح الإرادة

# ٢

## الشّعور والمعقول

المشاعر أسُّ الحياة. فاذا ما حَلَّ التعقُّل محلَّ الإخلاص والبرِّ والحُبِّ والخيالات ، وهي التي تسيّر المرء في الحياة ، فقد انتفى كلُّ داعٍ الى الحركة

* * *

انما ظهر شأن العقل في كوكبنا الأرضيّ متأخراً . فكم عاشت الكائنات وتقلّبت بدونهِ

* * *

تطوُّر المشاعر مستقلٌّ عن الإرادة . وليس في طوع آمرء أن يحبَّ أو يكره كما يهوى. وأقوى الناس نفساً ، لا سلطان لهُ على ما فيهِ من إحساسٍ وشعور الاَّ بقدر ما يكسر من حدَّتهما

* * *

المشاعر قليلة التغيُّر ولكنَّ محلَّها متغيّر غالباً . ومن هنا يظنُّون أنها متقلّبة

* * *

ما أسرع تولُّد اليقين من الخيال في دائرة المشاعر

* * *

قد يؤدّي التظاهر بمشاعر كاذبة الى اكتسابها

* * *

قوّة البديهيّات الإحساسية ، تظهر في عدم الاعتداد بالبديهيات العقليَّـة

* * *

قد تجتمع في النفس الواحدة معقولات شتّى ، كالتي منشؤُها الدّين والشُّعور والعقل . ولكنها لا تأتلف أبداً

* * *

انما يُعالَج الشعور بالشعور ، أو بتصوُّر الشعور في الذهن . ولكن المعقول لا ينجع فيهِ

* * *

ما يأتيهِ المرء كبراً ، اكبر مما يأتيهِ وجوباً

* * *

دوافع الشعور والاعتقاد أشدُّ فعلاً في سيرة المرء من مستظهرات العقل كلها

* * *

اذا لم يكن للرأي سند من الشعور أو الدين ، بطل فعله وأشبه الطَّيف لا نفوذ لهُ ولا قوَّة ولا بقاء

* * *

حياة الأمم قائمة على المشاعر ، والمؤثرات الدينية والاجتماعية

* * *

صحة الأمر عقلاً ، لا تقتضي الأخذ بهِ دائماً

## ٣

## اللذّة والألم

ما عرَف المرء الاّ حقيقتين مطلقتين : اللذّة والألم . فعليهما تقوم حياته منفرداً ومجتمعاً

* * *

ما اهتدت الشرائع الدينية ، ولا القوانين الاجتماعية ، الى أسٍّ تدعم بهِ تعاليمها ، الاّ رجاء اللذة وخوف الألم : فعقاب أو ثواب ، وجنّة أو جحيم

* * *

أطوار الشعور محدودة . لذلك لا يلبث المرء أن يصل الى غاية اللذة أو منتهى الألم

* * *

لكثرة تجدُّد الاحساس بذاته أثرٌ نفسيٌّ ، قد نسمّيه قانون الفتور . وهو يُلجىء الى تنويع الرَّغبات غالباً

* * *

يعترف المؤمنون بأن شدة الشّوق الى الجنة آتيةٌ من خوف الجحيم

* * *

اللذة عارضة ، والرَّغبة أبقى . لذلك يُقاد الناس برغباتهم ، اكثر مما يُقادون باللذات

* * *

الغالب في السعادة أنها أملٌ محقّق ولما يتحقق

* * *

الرجل الذي يعمل بمشورة البوذيّة ، فيقتل الرَّغبة في نفسهِ ، يفقد كل باعث لهُ على العمل

* * *

الرَّغبة مقياس مقدرة الرّجال . وخيال كلّ أمةٍ جامع رغباتها

* * *

أكبر قوَّاد الرّجال خلاّقون للرَّغبات . وما المُصلِحون الاّ قوم يحلُّون رغبة محلَّ رغبة

* * *

لولا الأمل في السَّعادة الوهمية ، والأسف على عدم تحقيق ما يُتصوَّر منها ، لَسئِمَ الناس طول الحياة

* * *

الرجل العاقل يملك نزعات قلبهِ كلها ، غير أن العقل لا يقتضي السعادة حتماً

* * *

السعيد نَفُورٌ من مرأى التعاسة . وقلّما تدوم المحبة بين شقيٍّ وسعيد .

* * *

الجذب والدفع يحكمان تطوُّر العوالم كلها . والحُبُّ والكراهية صورتان منهما يسودان تطوُّر الأشخاص .

* * *

ما طول الحياة بعدد سنيها ، بل بتنوُّع المشاعر في مداها

٤

## الرُّوح النِّسائيَّة

خُلِقَتْ المرأة أشَدَّ تأثُّراً بالمشاعر والدِّين منها بالمعقول

* * *

الغالب أنَّ الإلهام فوق العقل. فبهِ تفطن المرأة، وان ضَعُفَ معقولها، الى أمورٍ لا يفقهها الرجل قويم النظر

* * *

النساء حسَّاسات أكثر منهنَّ متعقِّلات، فلا يحسُن حالهنَّ بقهرهنَّ على إطالة التفكير

* * *

تفضل المرأة الرجل أو يفضلها على حسب متعلّق حركة كلٍّ منهما. ولكنها لا تساويه في موضعٍ منها

* * *

ليس للمرأة في عالم الفنون والأزياء الاّ ذوق مستعار

* * *

لا تغتفر المرأة للرجل أن يستنبط مايجول بخاطرها من خلال كلامها

* * *

إِمَّا أن تسود وإِمَّا أن تُساد ، كذا شأن النساء ، ولا وسط

* * *

من المتعسّر الإعراب عن المشاعر بألفاظ مناطُ معانيها العقل. فمحاولة تعقُّل الحُبّ ضربٌ من الهزيان

* * *

لو صحَّ للنساء كسب فضيلة الإخلاص ، لفقدنَ سلطانهنَّ على الرجال

* * *

قلما يصدّق الرجل المرأة الاّ اذا كذبت ، وهو بهذا يلجئها الى الكذب غالباً

* * *

اصرار النساء والسياسيين عادةً على انكار البديهيات ، هو أهم الأسباب التي تحمل الناس على الشكّ فيما يقولون

* * *

تلوم النساء الرجال لكونهم لا يفهمونهنَّ . وأي عقلين تنافرا وتفاهَما ؟

* * *

انما يطيب المرء في الحبّ بالكلام هرباً من سماع معقول .

* * *

الحبُّ يرفع أو يخفض ، ولا يدع المرءَ كما كان

* * *

لا تزال أفعال المرأة صادرةً عن الإلهام لذلك تفضّل الحبَّ ، وان كان خاملاً ، على المجد وان علا

* * *

عجباً للحُبّ يخاف الرَّيب . والشكُّ ينميه ، واليقين يميتهُ

* * *

أبقى المشاعر أكثرها اعتدالاً . والإِفراط في الحب مهدَّدٌ بسرعة الضجر منهُ

* * *

بشّر الحبَّ اذا أبصر بالزوال

* * *

مَنْ يحاوِل آستبقاء حُبٍّ ينصرم ، كَمن يحاوِل آستبطاء تعاقُبِ الأيام .

## ٥

# الآراء

آراؤنا على الدوام مقدّمات لمعتقداتٍ تتكوَّن ولمَّا تستقرّ

* * *

مصدر الرأي إما شعور أو دين أو عقل ، والأخير أندرها

* * *

رأي السواد الأعظم من الناس ليس قائماً بالدليل ، بل مبناهُ كراهيَّةٌ ، أو عطفٌ ، أو رجاء

* * *

البيئة تلد الآراء ، والشهوات والمنافع تقلّبها

* * *

معظم النـاس ضعيفٌ عن الرأي الذاتي ، ولكنهُ يتناول ما يختمر من الرأي في عشيرتهِ

* * *

قلَّ مَنْ يقدر على النظر فى الأشياء على حقيقتها : فمنهم مَن لا يرى الاّ ما يريد ، ومنهم من لا يرى الاّ ما يُريه غيرهُ ايَّاهُ

* * *

لا يتحصل للمرء مدى الحياة خمسة أفكار ذاتية أو ستة الاّ اذا كان عقلهُ مطلقاً من كلّ قيد

* * *

السبب في أنّ الآراء السقيمة أعلَق بالنفوس ، كونها قائمة على شعور أو دين ، مما لا سلطان للعقل عليهِ

* * *

قد يتغيَّر الرأى هنيهةً من مطالعة كتاب ، ولا تلبث الآراء اللا تنبُّهيَّة أن تعود الى سلطانها

* * *

التشدُّد في الرأي يغلب على التسامح فيهِ ، لأنَّ الأول مبنيٌّ على الشعور أو الدين والثاني مبنيٌّ على العقل

* * *

عدم التسليم برأي مبناهُ الشعور أو الدين ، تقويةٌ لهُ

* * *

لا تخلق الجماعة الرأي ، ولكنها تكسبهُ قوةً ، لأن رأي الجماعة شديد العدوى

* * *

قلما تجد في هذا الزمان صحيفةً بلغ من استقلالها أن تسمح لمحرّريها برأي من عنديَّاتهم

* * *

فقدان ملكة النقد ، يسهّل قبول الآراء العامة اللازمة في حياة الأمة. فاذا انتشرت روح النقد في كلّ فردٍ من أفرادها ، فقد حان حينها .

* * *

قوّة الرأي اذا عمّ لا تُصَدُّ : مَنْ أوْجدهُ ملكهُ ، ومَنْ لم يقدر على ايجاده وجب عليهِ أن يذعن اليهِ

## ٦
## الألفاظ والصِّيَغ

---

لا مُقابِل للشُّعور من العقل . فلا يتيسَّر الإعراب عنهُ بلفظ مناطهُ العقل . وعليهِ يتعذّر ترجمة المشاعر بالألفاظ ترجمةً دقيقةً

* * *

من الألفاظ ما يُشعر بوجود أفكارٍ عدَّة لا تتناولها تلك الألفاظ

* * *

اذا شاع اللفظ تشعَّبَتْ معانيه، بحسب معقول مستعمليه

* * *

لا دواء لعدم التفاهُم بين مَنْ اختلفوا جنساً ومكانةً، وذكورةً وأنوثةً . فاللفظ بذاته يُثير في نفس كلٍّ معنًى خاصًّا . فكأنهم لا يتكلمون لغةً واحدةً

* * *

ليس للألفاظ الدالة على صوَر ذهنية في لغة ، ترجمةٌ محكمةٌ في لغةٍ أخرى . فاللفظ يدلُّ على صورة عند أُمة ، وعلى صورة تخالفها عند أُمة أُخرى

* * *

قد تثير الألفاظ الواحدة معاني مختلفة ، في نفوس الذين تباين معقولهم . وتلك علة الخُلف بين الامم في أحوالٍ كثيرة كما رواهُ التاريخ

* * *

من ضرورات فنِّ سياسة الأُمم ، معرفة طائفة من الألفاظ المؤثّرة ، لأنَّ فعلها أشدُّ من فعل الأدلة العقلية غالباً

* * *

لبعض الصّيَغ الدينية قوَّةٌ سحريةٌ هائلةٌ . فكم من أُناسٍ ضحَّوا نفوسهم ، في سبيل أقوال لم يدركوا مراميها ، وان تجرَّدت عن كلّ معنًى معقول

* * *

أهمية المسمَّيات في السياسة ، دون أهمية الأسماء . فكم نفدت نظريَّات من الخُرق بمكان ، في ظلّ ألفاظٍ حسنة الانتقاء

* * *

لبعض الألفاظ والجُمل ، قوَّةٌ في استحضار الصوَر . لكنها لا تدوم طويلاً ، فتبلى ولا تعود ذات أثر في الناس

* * *

لا يتغيَّر اللفظ المخطوط الاّ ببطء . أمَّا معانيه والصوَر التي يحدثها ، فسريعة الزوال . وعليهِ لا يدلُّ الكلام القديم، الاّ على معنًى قديم .

***

اللسان يسبق العقل في كثيرٍ من الناس ، أولئك انما يعرفون ما يجول بخواطرهم ، بعد أن يسمعوا ما يقولون

# ٧

# الإقنـاع

## ١ — الإلقاء في النفس ، والتكرار ، والعدوى

التوكيد والتكرار والنفوذ والتلقين والعدوى ، خمسة أبواب لكتابٍ تامٍّ في فنّ الإقناع

* * *

الإقناع حمل المخاطَب على العمل ، لا إلزامهُ الحجة

* * *

قد تلزم الأدلة المخاطبَ الحجةَ ، ولكنها لا تحملهُ على العمل دائماً . وأما التلقين والتكرار والعدوى ، فإنها تنفذ الى المشاعر اللاّ تنبُّهية فتنقلب أفعالاً

* * *

عدوى العقول آكد عامل في نشر الأفكار والمعتقدات . وقلما تأتي المعتقدات السياسية من غير هذا السبيل ، ثم يحاوَل صبغها بصبغة المعقولات لتبريرها

* * *

سبب خطإٍ الجماعات دائماً في نظرها ، كونه في الأصل خيال فرد تسرَّب الى الجماعة بالعدوى

* * *

متى ثبت في النفوس رأيٌ بالعدوى أو الإلقاء ، اختفى هزيانه ، وقَصُرَ العقل عن النَّيل منهُ ، وسادَ هو على الإرادة ، وقاد الخُطى

* * *

اذا كثر تكرار النظريات الباطلة ، نزلت الى عالم اللاّ تنبُّهيّ ، وأمست بواعث للأفعال

* * *

نيل المراد بالإلقاء في النفس ، أفضل دائماً من نيله بالرهبة

* * *

ينحصر فنُّ كبار قائدي الأفكار ، في كونهم يخلقون فيمن يقودون أرواحاً جديدة

* * *

اذا أردتَ أن يكون لك سلطان مؤقَّت ، كفاكَ غالباً أن تُقنع الغير بأنهُ لك

* * *

تُقاد الأُمم باستثارة شهواتها ، أسهل مما تُقاد بالاهتمام بمرافقها

* * *

اذا أردت أن تؤثّر تأثيراً صحيحاً في الأُمة ، فاقصد روحها اللاّ تنبُّهية ، واجتنب مخاطبة روحها الشاعرة

***

من عرف كيف يهيمن أو يخلب ، استغنى عن الخطاب ليقنع

## ٢ — النفوذ

ذو النفوذ غنيٌّ عن القوَّة

***

قد يغني النفوذ عن القوة ، ولا تغني القوة عن النفوذ

***

القوة تقهر النفوس على الطاعة ، والنفوذ ينزع منها خاطر العصيان

***

لا طاعة بالاختيار من غير احترام ، ولا احترام لمن لا نفوذ لهُ

***

النفوذ يملأ النفوس إعجاباً واحتراماً ، فيعطّل ملكة النقد ، ويسهّل تأثير الإلقاء في النفس

***

الخطأ يمدُّهُ النفوذ، أفعل من الحقيقة وحدها

***

اذا فقدتْ الحكومات والأمم نفوذها، أوشكتْ أن تفقد كلَّ شيء

# الكتاب الثاني

## الحياة الاجتماعية

### ١

### روح الشعوب

الشعب الصحيح لا وجود لهُ الاّ عند القوم الأوَّلين . أما الأمم المتحضّرة فإنَّ كثرة اختلاط التناسل ووحدة البيئة ، ولّدَت منها شعوباً تاريخية جديدة تشبه الشعوب الصحيحة

***

صفات الشعب النفسية ثابتة ثبات صفاته الجسمانية ، وتنتقل بالوراثة على قاعدة واحدة وبالاستمرار

***

قد يُخضع السيف أمماً شتَّى لسلطان واحد ، ولكنها تحتاج ، في تكوين روحٍ مليّ عامّ ، الى التناسل ووحدة أحوال الحياة عدة قرون

***

تاريخ الأمة عبارة عن حكاية مجهوداتها ، لإقرار روحها والخروج من همجيتها

* * *

قوة الأمة بوحدة المشاعر المتولّدة من تمكّن روحها المليّ ، اكبر من قوتها بالجند . فلقد ساد الرّومانيون على الدنيا بروحهم ، فلما أضاعوها أضاعوا ملكهم

* * *

التقهقر أسرع من التقدم . فالأمة تُشيد بناء مزاجها العقليّ في أحقاب ، وتفقدهُ في زمنٍ يسير

* * *

الأمة المتحضّرة جماعة ثبت روحها ، بتراكم آثار الآباء والأجداد

* * *

روح الأمة الثابت في حربٍ دائم مع روح الجماعة المتقلّب . فالثورات من عمل الجماعات ، وروح الجنس تؤثر في امتداد زمنها أو قِصرهِ

* * *

لكلّ شعب تاريخ . ولكلّ دور من أدوار حياتهِ نظامات خاصة ، وآداب وفنون وفلسفة كذلك ، ولا تحتمل غيرها . وما استعارت أمة مدنية أجنبية عنها ، الاّ حوّرتها تحويراً كليًّا

* * *

محاولتنا إلزام أهل مستعمرة عاداتنا وشرائعنا . كمحاولة إبدال ماضي أمة بماضي أمة أخرى

***

لا دوامَ لروح الآباء والأجداد ، ان لم تكن متصلّبة . واذا لم يكن فيها بعض المرونة تعذّر انطباعها على مقتضيات تغيُّر البيئة الناشىء من تطوُّر الحضارة ، وكان نصيبها عدم الرقيّ

***

لا يفلُّ الوراثة الاّ الوراثة . والتناسل بين أفراد غير متساوين يفكك أواصر الرُّوح الوراثي . وكم هلكت أمم لجهلها هذا الناموس

***

الوطنية خلاصة ما ترمي اليهِ روح الأمة

***

المولّد رجل تتجاذبهُ مؤثّرات مختلفة : من الوراثة ، والذكاء والآداب ، والأخلاق

***

أمة أهلها كلُّهم مولَّدُون لا تُساس

***

الماضي لا يموت أبداً ، فهو حيٌّ فينا . وهو أقدم مُرشد في حياة الأفراد والأمم . وما روح الأحياء الاّ مؤلَّفة من أفكار الأموات

***

ما أشدَّ استبداد الأموات، في غالب الأوقات

* * *

خَلْق أفكار تؤثّر في الناس، معناهُ نقل المرء جزءًا من نفسهِ الى مَنْ يخلفهُ

## ٢
## روح الجماعات

إذا اجتمع القوم ، تولّد فيهم روح كلّي مغاير كلّ المغايرة لروح كلّ فرد منهم

* * *

روح الجماعات خاضع لمعقول خاص غير تنبهيٍّ ، هو معقول الجمع

* * *

الرَّجل في الجماعة ليس هو الرَّجل الفرد ، لاختفاء ذاتيّته ، واندماجها في ذاتيَّة الكلِّ ، ولفقدان ملكة النقد ، والقدرة على التعقُّل بالدليل ، فيصير رجلاً فطريًّا ، له شجاعته ونزعاته وقسوته

* * *

أخصُّ مميزات الجماعة : سرعة الانفعال ، والتعجُّل بالغضب ، وعدم قابلية التعقُّل ، والغفلة المتناهية ، والتعصُّب الأعمى ، والخنوع للقوَّاد

* * *

الجماعة دون الفرد معقولاً دائماً . ولكنها قد تفضله في الشعور

وقد تكون دونه . فمن السهل صيرورتها شجاعةً أو آثمةً

***

الجماعة كائن ساذج ، لا تريد إلاّ بقوّادها ، ولا تعمل الا بهم ، فكأنما روحها معتقلة في روحهم

***

الجماعات مغالية في مشاعرها ، وتطلب الغلوّ من قوّادها

***

التأثير في الجماعة ، أسهل من التأثير في الفرد

***

علّة غلوِ الجماعة في تعصّبها ونزقها ، اعتقادها بقوّتها ، وعدم التبعة عليها .

***

الجماعة أكثر قابلية للشجاعة منها للفضائل

***

لا بدّ للجماعة من معبود : شخصاً كان ، أو مذهباً ، أو صيغةً

***

شدّة قابلية الجماعات للتأثر ، تجعل مشاعرها متقلبة جدًّا . فتراها تنتقل بالسهولة من الإعجاب الى الجفاء

***

روح الدّين المنتشر في الجماعات ، يجعلها تظنُّ في الصيغ السياسية التي تشوقها ، أو في الشخص الذي يخلب لبّها ، قوةً سحريّة خفية

* * *

الجماعة تعيش في جوٍّ قوامهُ التأثُّر والتديُّن ، فلا قدرة لها على آستكناهِ ما يراهُ الفرد واضحاً جليًّا . لذلك يغلب عليها الخطأ فيما ترى

* * *

قلما تحفظ الجماعة من الحوادث ، غير جهتها التي أثارت الإعجاب . لذلك كانت الاقاصيص عندها أبقى من التاريخ

* * *

أوّل ما تطلب الجماعات آمالٌ . وهي بعيـدةٌ عن تصوُّرِ الطوارئ كثيرة التصديق . فهي تقبل حتى الأمانيَّ التي لا يحتمل تحققها

* * *

تتأثر الجماعات بالمشاعر ، والهزّات النفسية ، والمعتقدات المطلقة ، تأثُّراً سريع الشيوع فيها ، لا تنفع فيهِ حجة ، ولا يوهنهُ دليل

* * *

التأثير كلُّ التأثير في الجماعات ، للتوكيد ، والتكرار ، والعدوى، والنفوذ

***

لا يروج في الجماعة فكرٌ الا اذا صيغ لهـا في قالب موجز قويّ اللهجة

***

محبة الغير فضيلة اجتماعية . والمنفعة الذاتية الشديدة التأثير في الفرد ، لا تؤثر في الجماعة الاّ قليلاً

***

تتأثر الجماعات دائماً بالقوّة ، وقلما يستميلها المعروف

***

لا تحترم الجماعات الا الأقوياء . وقد كان احتقار الضعف على الدوام شعارها

***

تفضل الجماعات غالباً ، المساواة في الذلّ على الحرية

***

متى تفلّلت القيود الاجتماعية التي ترد الجموع عن الاسترسال مع شهواتها ، هوت على عجل الى درك الهمجية الأولى

***

قد يستفيد السياسيُّ من نسبة الحكمة وسداد الرأي والاعتدال للجماعات . لكن اعتقاد هذه الصفات فيها ، يجعله غير أهل لتولي زمامها

* * *

الاستسلام مرّة للجماعة ، اعتراف بقوتها ، وقضاء على النفس بالرضوخ لحكمها على الدوام

* * *

تحلُّ قوة العدد شيئاً فشيئاً محلّ العقل . غير أنَّ العدد ، وان قهر العقل ، فإِنهُ لا يقوم مقامه

* * *

قلَّما تدرك الجماعات حقيقة ما يأتي على يدها من الحوادث

## ٣

## روح الجمعيّات

للجمعيات الكبيرة ، ما للجماعات من المميّزات الأوَّليـة :
كضعف المعقول ، وسرعة التهيُّج ، وفجائية الغضب ، وعدم
التسامُح المطلق ، والخنوع للقوَّاد

* * *

ليس للجماعة الاّ روح عرضية ، ان تألَّفت من عناصرٍ مختلفة ،
اجتمعتْ على غيرِ موعد . لكن اذا اتحدت العناصر ، كما في
الجمعيات السياسية أو الصناعية أو الطوائف ، تولَّدَ لها روح عامّ
يستقرُّ بوحدة المنافع

* * *

لا تسير الجمعية السياسية غالباً سير الجماعة ، وان كانت خاضعة
مثلها لمقتضيات الاجتماع النفسية . وذلك لاختلاف منافع الاحزاب
التي تتألَّف منها ، ولأنَّ لكلِّ فريق قوَّاداً

* * *

الرجل العاطل يزداد قوة بانضمامه الى فريق ، والرجل الكبير
يصغر بذلك

* * *

قد يتمكن بعض القواد ذوي الحدَّة والنفوذ ، من ضمّ جميع الفرق في الجمعيــة الى جماعةٍ خاضعة لإرادتهم . وفي الجمعيات الثورية الكبيرة أمثلة كثيرة لذلك

* * *

كثيراً ما يقود الرُّوح الكليُّ الجمعيــةَ الى الإقرارِ على أمرٍ لا يريدهُ كلُّ فرد من أفرادها بذاته . ولا يَفهم تاريخ الثورة ، الاّ مَنْ تمكنتْ مِنْ نفسهِ هذه القاعدة

* * *

لا يمكن التأثير في قومٍ ، الاّ اذا بُدِىء بالتأثير في دعاتهم

* * *

الأقليَّة العنيفة الجريئة ، تقود على الدوام الأغلبية الخائفة المتردّدة

* * *

الخوف من اكبر بواعث العمل في الجمعيات السياسية . وشدة الخوف هي التي تحملها أحياناً على شيء من الإقدام

## ٤

# حياة الأُمم

ليست الكثرة شرطاً في صلاح المبادىء الكليَّة لسير الأمة. وانما اللازم هو استقرارها في الأذهان واحترامها من الكافة

***

يتوقَّف مصير الأمة على خُلقها ، اكثر مما يتوقف على ذكائها

***

تطوُّر الأمة محكومٌ بروح آبائها الأوَّلين ، ولا تؤثّر الانقلابات السياسية الاّ في مظاهر ذلك الرُّوح

***

مِن عوامل القوَّة في الأمة : الاحتفاظ بنظاماتها الأصلية ، وتقاليدها الأوَّلية ، والتأنّي في تعديلها شيئاً فشيئاً . وقلَّما وُجدَ بين الأمم مَنْ حقَّقَ هذا المقصد الاّ الرُّومان قديماً ، والإنكليز في هذا الزمان

***

ما حاولَتْ أمة أن تنخلع عن ماضيها ، الاّ قَلَبَتْ حالها رأساً على عقبْ

***

نير العادة يبهظ الفرد ويعطّل حركته ، ولكنهُ يقوّي الأمة ويزيد في مكنتها

* * *

خلوُّ الأمة من ماضٍ كالولايات المتحدة : قوَّة لها ، وضعف فيها معاً

* * *

لا تستطيع أمة أن تنقل الى أمةٍ نظاماتها ، كما أنها لا تستطيع أن تنفخ فيها روحها .

* * *

ليس الفتح الدائم الأثر ، فتح البنادق والمدافع . وانما يدوم الفتح ، متى تولَّدَ بين الغالب والمغلوب ، اشتراكٌ في المشاعر ، والمنافع ، والأفكار

* * *

لا تكون الأمة قويَّة في الواقع ، الاّ اذا كثرت المنافع المشتركة بين طبقاتها . لأن الفرد يعمل اذ ذاك لمصلحة الكلّ ، مدفوعاً بحُبّ الذات

* * *

اذا كانت الرُّوح المليَّة متمكّنة من أمة ، انمحت الخلافات السياسية عندها على عَجل ، أمام كلّ حادثٍ لهُ أثر في مصالحها الكليَّـة

* * *

الأمم اللاّتينية أسرع الى التّعب من الحرّية ، منها الى الضّجَرِ من العبوديَّـة

* * *

إن لم يكُنْ للأمة ضابط من نفسها ، فعليها احتمال ضابط من دونهـا

* * *

رُقيُّ الأمة بنخبتها ، وقوّتها بأواسطها

* * *

لا يفيد في حياة الأمة الاّ مجهود دائم . أمَّا المجهود المتقطّع فقد يُحدث انقلاباً ، لكنهُ لا يُوجِدُ رقيًّا دائماً

* * *

اذا كثرَ النسل في أمة ، تعسَّرَ عليها البقاء هادئة ، واندفعت الى شَنّ الغارة على جاراتها ، مِمَّنْ وقفت حركة النسل فيهنَّ

* * *

لا تمحي الأوهام أبداً من نفوس الأمم ، فلا تزال تعتقد بقوَّة تأثير القوانين والنّظامات والحكومات ، وأنَّ في قدرتها تغيير مجرى الحوادث كما تشتهي

* * *

روح الرَّجل في بداوتهِ متأثّرة بروح جماعتهِ . لذلك ضَعُفَ الفرق بين الرُّوحين

***

تشتمل الحضارة الراقية على رَواسب من جميع المراحل التي قطعتها ، فلا تزال فيها بقية من تقاليد سكان الكهوف ، وشيء من روح البرابرة أصحاب ( آتيلا )

***

لن يأتي برابرة الغد من الخارج ، بل يخرجون من تلك الجموع التي تخلّفت عن اللحاق بالحضارة وهي سائرة في طريق رقيّها

***

مهما انحطَّتْ كفاءة رَجل مِمَّنْ يُقال لهم رجال الدولة ، فإنَّ قوَّة حكمهِ في الأمور ، وبَصَرِهِ بها ، اكبر من قوَّة جَمْعٍ من السياسيين وبَصَرِهم . لأن هؤلاء يكتسبون من اجتماعهم معقول الجماعة ، وهو من درجةٍ منحطَّة . لذلك ساء حال أمة جرَتْ على رأي المؤتمرات

***

حضارة أمة رداء روحها ، وشامة ظاهرة تدلُّ على القوى الخفيّة التي تُسيّرها

***

الحضارة تستخدم العلم ، ولكنها لا تقوم عليه

*
* *

اليقين المتين يمنع أهله ، الاَّ اذا لقوا مَنْ هو أشدُّ يقيناً

*
* *

تخرج الأمم من الهمجية ، بما تضع لشهواتها من القيود . فاذا كسَّرتها ، عادت الى همجيَّتها

*
* *

لا ترقى الأمة بحكومتها أو ثورتها ، بل باجتماع مجهودات أفرادها

*
* *

الأمم كالعناصر الحية : تزول اذا طال الأمد عليها وهي واقفة مكانها ، متعلّقة بماضيها . فتفقد بذلك ملكة الانطباع على مقتضيات حياة غير حياتها

## ٥

# النِّظامات والقوانين

لاحياة لقوم مجتمعين الاّ قهراً. وأيسر القهر قبولاً قهر القوانين

***

حاكم الأمم معقولها ، لا ما تلتزمهُ من النّظامات . فوجب أن تكون هذه صادرة عن ذلك المعقول . وَرُبَّ قانون نافع في أمة ضارٌّ في أمةٍ أخرى

***

ليس من وظيفة القوانين الاشتغال بالقواعد المنطقية . لأنها بنات حاجات مستقلَّة عن هذه القواعد

***

يجب أن تكون القوانين مقرّرة لحاجات الأمة لا لشهواتها . فإن بُنِيَتْ على الشهوات لا تدوم

***

القوانين تقرّر العادات ، وقلّما تحدثها

***

القانون الذي لا يُقتصر فيهِ على تقرير مألوف ، أي تجربة سابقة ، انما يُسجّل جهل واضعه بالمستقبل

* * *

تطوُّر مقتضيات الحياة ، أسرع من تطوُّرِ القوانين . فعلى القضاء أن يكمّل النقص ، ويجمع بين النصّ والمصلحة

* * *

لا تحدث مشاعر الأمة من نظاماتها ، لأن الثانية ثمرة الأولى

* * *

النظامات التي تلتزمها الأمة بقاهر الأوامر ، تحدث دائماً اضطراباً في العوامل السياسية . غير أنّ المقتضيات الطبيعية لا تلبث أن تعيدها الى نظامها

* * *

القول بقدرة النظامات على حمل الأمة على التطوُّر ، كما يذهب اليهِ المتسيِّسون ، جهل بأن وراء الحوادث الظاهرة ، قوّة خفيّة هي العلّة فيها

* * *

إنما زادت القوانين في الأدواء التي وضعت لعلاجها ، لأن الذين وضعوها لم يفقهوا آثارها

* * *

قد يكون القانون ظالماً . فاذا لم يقصد به فريق دون فريق ، فلا تحكُّم فيه

* * *

إذا انسلّ القوم من سلطان القانون ، عاجلهم الاستبداد

* * *

توشك المخالفة يعمُّ ارتكابها ، أن تصبح حقًّا سائغاً

* * *

لا مقوّم للقوانين إلاّ القوّة . لذلك هي لا تدوم كثيرًا

* * *

من السهل تغيير القانون على القرطاس ، إلاّ أن ذلك لا يغيّر من روح الأمّة شيئاً

# ٦

## الحقّ

الطبيعة تجهل الإِنصاف ، والعدل من صنع الإِنسان

***

الحقُّ يكون حيث القوَّة تؤيّده

***

لا يستنجد بالعدل قويٌّ

***

لا قيمة للحقِّ ولا للعدل بين أمم اختلفت قواها

***

الحقُّ لا يعترض القوَّة ، فكأنهما شيء واحد . انَّما الحقُّ قوّة مستمرة

# ٧

# الأخلاق

ليست نواميس الأخلاق أموراً فرضيّة، ولكنها ضرورات لازمة

***

أخلاق كلِّ زمن خلاصة حاجاته. وكلُّ مجتمع لا بدّ له بمقتضى وجوده من ميزان يتميّز بهِ الخير من الشرّ

***

لا بقاء لحضارة من دون أخلاق. فمهما اشتدّت صرامة القانون لتأييد مبادىء الأخلاق، لا تعد شدّتها غلوًّا

***

لمّا كانت الأخلاق نتيجة ضرورات الأمة، في كل دور من أدوار حياتها، لزم أنها تتطوّر بتغيُّر تلك الضرورات

***

ما كلُّ ضرورة حقيقة، يستوى في ذلك الأخلاق والقانون. لكن من العبث الجدل في الضرورات

***

لا ثقة بالاخلاق إلاَّ اذا صارت غير تنبُّهية ، بفعل الوراثة والتربية والقوانين

* * *

لا تكتسب الاخلاق قوّة صحيحة ، إلاّ اذا صار الناس لا يعدُّون مراعاتها من الفضائل الممتازة

* * *

اذا جرت الفضيلة بغير جهد ، فهي ملكة لا فضيلة

* * *

من الخطأ الضار ، محاولة بناء الاخلاق على المعقول وحده ، كما ذهب اليهِ كثير من الفلاسفة . لانهُ اذا لم يكن للأخلاق سند من المشاعر والرُّوح الديني ، فلا بقاء لها ولا قوَّة

* * *

انما تكتسب الاخلاق بمزاولتها ، فهي كالفنون من المعلومات التي لا تكتسب من الكتب

* * *

البيئة والقدوة مؤثران كبيران في الأخلاق

* * *

قد تقطع الأمّة قروناً حتى تكتسب أخلاقاً، وقد تضيع ما كسبته في بضع سنين

* * *

أخلاق كلّ أمّة مقياس كفاءتها

* * *

أقل حظٍّ للأمّة من الأخلاق ، ما أمرت به القوانين ، وقامت الشرطة بحراسته . فاذا لم يراع هذا النّذر فتلك فوضى الأخلاق

* * *

هناك مرتبة أخلاقية أرقى من مرتبة الأخلاق المأمور بها في القانون ، وهي التي تفضّل فيها منافع الكلّ على المنافع الخاصّة . وقد تعيش الأمة بالمرتبة الأولى ، أما رقيّها فمتوقّف على الثّانية

* * *

ممّا يصحّ اتخاذه شارة قوية على سقوط الأمّة ، انحطاط أخلاق الطبقات الحاكمة عن أخلاق الطّبقات المحكومة

* * *

لما لم يكن بين الأمم قانون عامّ معترف بهِ من الكلّ ، فشلت مساعي الذين يقولون بعلم أخلاق عامّ ، والمعروف منهُ هو ما تعرفهُ جمعية من الذئاب : افتراس الضّعيف وخوف القويّ

* * *

الشُّعور الواحد يكون فضيلة أو رذيلة، نظراً لفائدته الاجتماعيَّة. فالأثرة تعدّ فضيلة، إذا اتّصفت بها العائلة أو القبيلة أو الوطن بأكمله. كذلك الخيلاء في الفرد عيب، وفي الجماعة فضيلة

***

لا يندر أن يكون الخلق الواحد فضيلة في الفرد، وعيباً في المجموع. فلو لانت طباع أمّة الى حدّ أنها لا تثأر لنفسها من اهانة لحقتها، أصبحت هزُءا بين الأمم

***

التسامح ممكن بين الأفراد، ومتعذّر بين الأمم

***

ربما كان عدم التسامح فضيلة في الأمة، تدفعها الي عمل وجب

***

اذا أخذنا بآثار مذهب حب الإنسانية، صعب علينا التسليم بأنه من الفضائل. بل رأيناه أشد أعداء علم الأخلاق. لانهُ اذا عظم ذلك ضعفت هذه

***

تزداد الجرائم في الأمّة، بتقدم مذهب حب الإنسانية فيها.

لانه يقلّل من دواعي الزجر ، فيضعف بذلك ما في العقوبات من الرَّدع

* * *

إذا أغضيت عن الضّرر ، فقد ساعدتَ على انتشاره

* * *

سرعة أهل هذا العصر فى هــدم الأخلاق ، أكبر من سرعتهم في تحصيلها

* * *

لا تدفع الفضيلة صاحبها دائماً إلي العمل . وقد كانت الرذائل أهم بواعثه : كالكراهية وحب الانتقام والغيرة والميل إلي السلب ، وهذه النزعات هي التي تجعل أوروبا على أهبة من الحرب دائمةً

* * *

الرجل الفاضل يتسلّى عما يلتزمهُ من الحرمان ، بمــا يحدثهُ في نفس الغير من الضجر

* * *

العمل المجرّد عن المنفعة الذاتية ، يعظم فاعله أمام نفسه . وكثيراً ما يجلب عليه السرور ، أكثر من الأعمــال ذات الفائدة الشخصية

* * *

الشجاعة الصغيرة الدائمة ، أصعب مزاولةً من الإقدام الكبير عرَضاً

***

من أقوى دعائم الأخلاق ، الخوف من نقد الناس

***

تعلو حضارة الأمة بقدر تمكُّنها من ضبط نفسها ، أعنى بقدر ثبات أخلاقها وتمكُّنها

***

اذا تداعت أخلاق الأمة ، عاجلها الفناء

# ٨

## الغـاية

مبنى الرجاء في الحياة شعورٌ فطريٌّ وتديُّن، وقد قالوا انهُ يرجع أيضاً الى نظريات عقلية، غيرَ أنَّا لا نعلم غاية تولَّدَت من تلك النظريات

* * *

الثورة والفوضى دليل على حدوث أمرٍ خطير في حياة الأمة وهو تغيُّر غايتها

* * *

مَنْ كانت غايتهُ فداء معتقدهُ بحياته كالثُّوْريين الرُّوسيين، تعذَّرت استمالته

* * *

لا قوَّة لأمة ليس لها غاية مجمع على احترامها، وتلك الغاية هي التي تهديها في حياتها كما تهتدي الباخرة بالبوصلة

* * *

اذا عظمتْ غاية أمة وقلَّتْ حاجاتها، تغلّبتْ دائماً على الأمة التي ضعفت غايتها وكثرت حاجاتها

* * *

هدم غاية فرد، أو طائفة، أو أمة، تجريدٌ لها مما بهِ رابطتها وجدها وحركتها

***

الوطن مشخّص حياة الآباء والأجداد، فهو غايةٌ طلبها من أمتن الأسس الاجتماعية

***

تفنى حياة الأمة في تكوين غايتها وفي هدمها

# ٩
# الأرباب

لا تؤمن بكثرة الأرباب ، فما عَبَدَ الناس في جميع العصور الاّ رباً واحداً ، وان اختلفت الأسماء ، وذلك المعبود هو الأمل

* * *

ما الرُّوح الديني الذي ساد في جميع الأزمان الاّ اعتقاد بسلطان خفيّ لمؤثّرات علوية مثّلت في النُّصُب والأزلام والصيَغ الكلامية

* * *

كثيراً ما غيَّر الإِنسان اسم ما عَبد من الأرباب ، لكنهُ ما استغنى عنها في زمنٍ من الأزمان ، كأن التديُّن حاجة من حاجات العقل لا يؤثر فيهِ مؤثر أبداً

* * *

قد يستعلي الرُّوح الدينيّ على المشاعر الى حدّ أنهُ يعطّل في المرء غريزة المحافظة على الذات

* * *

الشجعان والأرباب صورة شفافة لِمَا للأمم من النزعات الخفية

* * *

الدين عنوان عاقلة الأمة

* * *

تتطوَّر الأرباب وتبقى الأصول التي جاءت بها الكتب على حالها ، وانما الذي يتغير منها هو معناها ، فإنهُ يختلف باختلاف الأمم والأزمان

***

مظهر الدين مستقلٌّ عن الأصول التي يستقي منها فلقد كانت العاقلة واحدة عند يعاقبة (الهَوْل) وقسوس ( محكمة التفتيش )

***

ضَعُفَ الانسان عن الحياة بلا يقين ، ففضَّل المعتقدات وإن وهن أساسها على الزندقة وان وضح برهانها

***

لو انتشرت الزندقة لصارت ديناً لا قِبَل لأحد بمعارضته كما هو شأن الديانات القديمة

***

عدم احتمال المناظرة من بعض ذوي العقول المطلقة ، آتٍ في الغالب من تشبُّعهم بالرُّوح الدينيّ بالوراثة وهم لا يشعرون

***

" الخلوّ من الاعتقاد هو في الغالب يقين يعفي صاحبه من تعب التأمل والنظر

***

ميل المرء الى تعقّل دينهِ خطرٌ دائم

*
* *

لقد أفادت الديانات الأمم بإِحداثها الأمل في الحياة الباقية أكثر مِن جميع مَن خلَق الله مِن الفلاسفة والحكماء

*
* *

انما الديانات قوَّة ينبغي الانتفاع بها لا معارضتها

*
* *

اذا صَحَّ أنَّ الدين كان سبباً في تأجيل اكتشاف بعض الحقائق العلمية فمن المشكوك فيهِ أن الانسان كان يستفيد كثيراً من هذه الحقائق في الأدوار الأولى من تطوُّرهِ

*
* *

انما تظهر منفعة الأرباب بعد هدم معابدها

*
* *

العقل خالق الرقيّ غير أن مشيدي الديانات هُم قوَّاد الأمم ولا يزال عظماء الخياليين مثل (بوذا) و (محمد) يُخضعون الملايين من الخلائق بجلال أحلامهم

*
* *

قلّما تعيش الأمم بعد موت معتقداتها

*
* *

# ١٠
## الفن

ظهرت الفنون دائماً قبل الفلسفة والعلم، لأنها بنت مشاعر الأمم وروحها الديني، وسيادة هذين الأصلين سابقة على سيادة العقل. لذلك صح ازدهار الفنون في أعصر الهمجية

***

الفنون ولا سيما الموسيقى لغة المشاعر والروح الديني، والكلام لغة العقل

***

يصغر الفني اذا استعمل عقله بدل شعوره

***

لما كان الفن ابن المشاعر، تعذر التعبير عنه الا من جهة اجزائه الاصطلاحية

***

الفن كالسياسة : زمامه بيد بعض القواد، والجموع من خلفهم

***

الجميل ما أعجبنا. والإعجاب لا يصدر عن ذوقنا الخاص بمقدار ما يصدر عن مشاعر بعض ذوي النفوذ الذين تؤثر فينا عدواهم العقلية، فتحملنا على أن نحكم حكمهم

ليس للتنسيق قواعد ثابتة، لهذا احتقر السلف المباني (الغوطية) ورسوم بعض المصورين قبل أن يعجب بها أهل هذا الزمان

***

يحدث في بعض الأحايين جو خاص يسود فيه على الناس ذوق واحد وشعور واجد وإن بلغ استقلال فكر بعضهم ما بلغ

***

عدوى الفنون شديدة التأثير الى حد أنها تُلبس صنع بعض الأزمان ثوباً عائلياً يستدل منه على زمن ظهورها

***

يتأثر الفن تأثراً شديداً بالمكان والأمة الى حد أنّا لا نجد أمة استعارت فنّ أمة أخرى الا حوّرته وبدّلته ، ولا عبرة ببعض الظواهر الدالة على خلاف ذلك

***

الطُّرَف الفنية الفائقة الصنع تصدر عن شعور لا تنبهيّ ، فإن كانت تنبُّهية فهي شخصية ولا تدل على روح العصر الذي صنعت فيه

***

الموسيقى تثير في النفس خواطر مبهمة تصحبها انفعالات شديدة ، لذلك يسهل تأثيرها في غير ذوي العقول الكبيرة متى رق شعورهم ، ولقد أصاب من قال : انها فن النساء والجماعات

***

رجل الفن يبتدع وان احتذى

# ١١

## الطقوس والرموز

الطقوس والرموز، أعني الاحتفالات والأعلام والأعياد العامة والعرف المألوف في علاقات الناس بعضهم مع بعض كلها فوق إرادة الانسان. وهي أقوى سند تقوم عليه الحياة الدينية والاجتماعية

***

من ظن أنه أكبر من أن يتقيَّد بطقوس أمة واحتقر تقاليدها فهو أجنبي عنها

***

إنما تصير المعتقدات الفردية عامة بعامل الطقوس والسنن

***

إذا تجرد القضاء من الطقوس والرموز فليس قضاء

***

يقوم المعتقد الديني أو السياسي على اليقين به، لكنه لا يدوم إلا بالطقوس والتقاليد

***

بلغ من أخذ الطقوس والرموز بالنفوس أنها تبقى بعد زوال المعتقد الذي حدثت لأجله

***

أكبر الناس استقلالا وأشدهم اطلاقاً في الفكر ، يخضعون حياتهم طوعاً لطقوس سياسية وعرفٍ جارٍ في روابطهم الاجتماعية أو الشخصية تنزع منهم الحرية الصحيحة

***

الطقوس تخلص الانسان من شر التردد : فبها يعرف بلا تأمل ما يجب قوله وفعله في جميع الأحوال

***

أهم طقوس الأمم تقاليدها من عمل أسلافها



# الكتاب الثالث

## الحياة القومية

١

### الدِّين والعِلم

الدين والعلم طريقان تجري فيهما حركة الانسان، وليسا من أصلٍ واحدٍ

***

لا يكون العلم أبداً الا تنبُّهياً وعقلياً . أما الدين فغير تنبهيّ ولا دخل للعقل فيه

***

أخصّ مميزات الدين أنه لا يتغير بالنظر ولا بالتعقـل ولا بالتجربة

***

تحصيل أحقر المعلومات العلمية يقتضي جهداً كبيراً وتحصيل

الاعتقاد الدينيّ لا يقتضي من الجهد شيئاً

* * *

ينتشر العلم بالكتب، والدين بالرسل

* * *

العلم أكبر العوامل في تقدم الحضارة الماديّ. والمعتقدات تقود الأفكار والمشاعر، فهي هادية المرء في حركته

* * *

العلم يقرّر الحقائق، والمعتقدات تمثل الرغبات، لهذا فضّل الناس المعتقد على العلم

* * *

الدين يكسو الخيال المتولد عن الرغبة صورة الشيء الواقع، وانما العلم هو الذي يوجد الحقائق مجردة عن الرغبات

* * *

المعتقد السياسيّ أو الدينيّ أو الاجتماعيّ أمر وجدانيّ لا تنبهي، ولا يدركه النظر الا وقد رسخ في النفوس

* * *

قوة المعتقد راجعة الى ما يولده في النفوس من الآمال، وما يحدثه من الصور الذهنية التي تقتضي السعادة

* * *

لن تجد في التاريخ معتقداً سياسياً أو دينياً رده النظر والاستدلال، فالعقل يتحطم دائماً على اسوار الدين

* * *

الدين التزام لا استدلال : فاذا ما بحث الناس فيهِ فذلك لكونه ضَعُفَ ومال الى الزوال

* * *

قلّما تجد مَنْ يخاطر بحياتهِ في نصرة حقيقة عقلية، ولكنك تجد عشرات المئات يضحُّون حياتهم لِما يعتقدون

* * *

يعيش أهل كلّ زمان بقليل من المعتقدات السياسية والدينية والاجتماعية ، ولا يتحوَّلون عنها إلاّ بِكَرّ الدهور أو بحلول معتقد جديد

* * *

ايجاد معتقد ، ايجاد وجدان جديد ، تصدر عنهُ حركة جديدة في سير الناس

* * *

أقلّ تغيير في معتقد أمة ، يغيّر من مصيرها

* * *

اذا احتدم الخلاف في بحثٍ ، صحّ القول بأنهُ من طائفة المعتقدات لا من مباحث العلم

***

ليس العقل هو الذي يقوم في وجه المعتقد حين يضطهد الدين من السياسة ، بل هذان معتقدان اعترض كلٌّ منهما صاحبه

***

الخلف على المسائل العلمية سهل الاحتمال . ولا احتمال في خلفٍ دينيّ ، لذلك كان التنازع الدينيّ أو السياسيّ دائماً شديداً

***

التشدُّد مصاحب للمعتقدات القوية ، وهو بين أهل المذاهب في المعتقد الواحد ، أشدّ منهُ بين أهل مذهبين مختلفين

***

انما يبحث العقل عن اليقين في المعتقدات غالباً

***

الفرضيات معتقدات يظنونها في الغالب معلومات

***

لمّا كانت أحوال المعتقد غير خاضعة لمقياس العلم ، فتصديق العالِم والجاهل بها سواء

***

اذا استولى المعتقد على المرء ، سهل عنده جمع النقيضين عقلاً

* * *

لا يعيق انتشار المعتقد ما فيه من الخطإ والهذيان ، لأنهُ ليس مبنيًّا على النظر والاختيار

* * *

عدم تصديقك الشيء الممكن يجعلهُ مستحيلاً ، ومن قوى اليقين جهلهُ بالمستحيل

* * *

المعتقد القويّ يحدث الارادة القوية ، فلا تقوى عليهِ ارادة ضعيفة

* * *

خُلِقَ الانسان فى حاجةٍ الى معتقد يهدي فكره وأعماله ، ولما تقم مقامه الفلسفة ولا العلم

* * *

أوجدت المعتقدات مصنوعات فنيَّة من العدم ، ما كان لمجرَّد العقل ايجادها

* * *

المعتقدات تقود الأمم ، وان ضعفت فى نظر العقل . وهي التي تمنعها من الوقوع فى همجية لا رابطة بين أفرادها ولا قوَّة فيها

## ٢

## التعليم والتربية

التربية فن تنتقل بهِ المعقولات الى مشاعر

* * *

اذا حسنت تربية الشعور اللاّتنبُّهي ملكناهُ وأفادنا، واذا ساءت ملكنا وأضرَّ بنا

* * *

قيمة المرء خُلُقه لا عِلمه كما يذهب اليهِ أساتذة التعليم عندنا

* * *

عدة المرء الداخلية المتينة فى خُلقهِ لا فى علمهِ . فإن لم تكن لهُ هذه الأداة ، أصبح ألعوبة فى يد الأحوال والظروف

* * *

من أكبر خطإِ اللاتينيين اعتقادهم بتلازُم التعليم والأخلاق والذكاء

* * *

ليس التعليم تربية فالأول يغني الحافظة ، وأمَّا التربية فإنها تولّد فى الانسان ميولاً نافعة ، وتمكنهُ من قمع الميول الفاسدة

* * *

يكفيك لتعليم رجل من الهمج بضع سنين ، وقد تحتاج الى قرون في تربيته

***

إنماء المفكرة وملكة الحكم والهمة والثبات ، أشد لزوماً من تكليف المرء رصّ الجُمل الباردة كما تفعل المدارس الآن

***

حصر العقل في دائرة صناعية ، وإفقاده قوة النظر والتأمل، نتيجة محققة من طريقة تعليم أحوال الدنيا بين سطور الكتب

***

تعلو الرجولة بالعلم أو تنحط ، بحسب طبيعة عقل من يتلقاه ، ولا يستفيد من المعارف العالية إلا أهل العقول السامية

***

اذا أردتَ منحطّ الفكر على علمٍ راق ، فقد أفسدتَ عاقلتهُ ، وضعفها يفقدهُ ملكاته الفطرية فيصبح في عالَم المعقول كالمولَّدِين

***

دلَّتْ التجارب المتكرّرة في الألوف من أهل المستعمرات على أنَّ التعليم الذي لا يناسب حالة المتعلّم يُضعف الذكاء ويحطّ الخُلق والآداب

***

ما أشدّ خطر القضايا الكلية مجرَّدة عن مناشئها ، فانها تؤدّي الى الاستهتار وسوء الفهم

* * *

لا بدَّ من جهدٍ كبير قبل أن تصير العادات الطبيعية غير تنبُّهية في الانسان ، فاذا تمكَّنت منهُ مكَّنتهُ من العمل بلا عناء

* * *

اذا ضُبِطَتْ حركات العقل وسُيرتْ في سبيلٍ قويم ترَقّى ، وان كان في الأصل ضعيفاً

* * *

كَسْب ملكة ضبط العمل يُكسِب فنّ توفير الوقت ، وذلك يؤدّي الى اطالتهِ

* * *

محاولة تعليم الأحداث أشياء كثيرة تجعلهم لا يحرزون شيئاً ، وقد غفلت مدارسنا عن هذا المبدإِ الأوَّليّ

* * *

ينبغي أن يكون المربّي قادراً على أن يميز ما في كل تلميذٍ من الملكات الطيبة القابلة للرقيّ ، أما اذا ترك اختيار الدرس والحرفة الى الاتفاق انحط عمل المتعلمين

* * *

من اكبر أوهام الديمقراطية ، تخيُّلهـا أن التعليم يسوى بين الناس ، وهو لا يصلح في الغالب الاّ في تجسيم الفروق

* * *

الامتحان الذي يدور على قوة الحافظة يزيد الفروق الاجتماعية اكثر من طريقة الخلف ، والغالب أن هذه الفروق تكون غير عادلة

* * *

آل الأمر بطريقة التربية عندنا الى ايجاد نخبةٍ من أهلِ الحافظة ، لا علاقة بينها وبين نخبة أهل العظمة وقوة الحكم

* * *

التعليم إِما أن يُرَبي الحافظة ، أو ملكة النظر . ويتخرَّج عن الأوَّل أهل اللَّسَنْ وعن الثاني أهل الجدّ والعمل

* * *

استقرَّ التعليم بالاستظهار فى الأمم اللاتينية وحدها فصار علة كبيرة فى ضعفها ، لأنَّ نتيجته تفويض الوظائف الاجتماعية الكبرى الى أناس هم غالباً من ذوي الكفاءة المنحطة

* * *

اختيار طريقة التعليم أهم فى مصلحة الأمة من اختيار حكومة مناسبة لها

## ٣

## الطبقات الممتازة

لا تقاس قوة الأمة بعدد أهلها بل بقيمة الطبقة الممتازة فيها

* * *

نخبة الأمة صنّاع حضارتها فلا ترقى الاّ بهم ، واذا فقدتهم حاق بها الفقر وتولّتها الفوضى

* * *

العامة خزانة قوة الأمة، لكن لا تنفع هذه القوة الاّ اذا وجّهتها الخاصّة فى الأغراض العامّة

* * *

الاختراعات الراقية أفرادية دائماً، ويعمّ نفعها متى صارت فى ملك المجموع

* * *

اذا اجتمع أفراد ممتازون بطلت ميزتهم ، لأنّ العقل الممتاز لا يبقى كذلك الاّ اذا دام منفرداً.

* * *

تنوّعت أسباب الامتياز الى حسبٍ ونبوغٍ ومالٍ، وما استغنى العالَم قط عنها

* * *

لمّا كانت الملكات العقلية وِراثية كما كان الشرف كذلك قديماً ، لزم أن الجماعات ، وهي من طُلّاب المساواة المطلقة ، تعد التمايُز العقلي اجحافاً كالتمايُز بالشرف

*
* *

تنازُع الجموع الجاهلة والطبقات الممتازة التي هي روحها ، دليل على بقاء الحياة القومية . والتاريخ يدلّنا على أن غلبة العدد كانت دائماً نذيراً بزوال الحضارة

*
* *

ما سادت الحضارات العُظمى الآّ بتمكُّنها من ضبط عناصرها الدُّنيا

*
* *

الخاصة تبني والغوغاء يهدمون

## ٤
## النَّظَرِيَّات الفلسفيَّة

العقل أقرب للإِنشاء منهُ للتفسير، فقد غيَّرَ وجه المسكونة، ولكنهُ لمَّا يُبينْ لنا الناموس الخفيّ الذي تتطوَّر بمقتضاه الحشائش

***

البون شاسع بين عاقلتنا ونظام الكون، فلا أمل لنا باكتناه سرّهِ

***

اذا قيل أن كل ما لا يدركهُ العقل مُعجزة، فحياة كل كائن معجزة دائمة

***

بعدت الشقة بين القُوى الخفيَّة التي تبدئ الكائنات وتنمّيها وتعدمها وبين ادراكنا، حتى انثنى العِلم في هذه الأيام عن محاولة تفسيرها

***

أصغر الخليات الحية يحمل ماضياً عتيقاً ومستقبلاً غامضاً

***

رأينا الفلسفة تجيب في غابر الزمن على : هل العالم قديم أم حادث ؟ حقيقي أم خيالي ؟ وهل جنس الانسان أبديّ أو قابل للعدم ؟ ونجدها الآن قد تراجعت عن الجواب

***

مِن المسائل الخطيرة ما ينبغي عدم التعمُّق فيـهِ : كَمِنْ أين أتينا ؟ والى أين نسير ؟ حتى يكون لها لباس من الشكّ لا يزول معهُ كل أمل للإِنسان

***

رُبما كان أفضل نظريات الحيـاة الثلاثة وهي الرجاء واليأس والاستسلام هذا الأخير ، لكنهُ أقلّها حملاً للإِنسان على العمل

***

المرء في الحياة بين حربٍ معها ، أو انطباع عليها

***

أبان العلم أن المادة غير خالدة ، فهدم أحد مقاصد الفلسفة التي بقيت لها

***

الفلسفة الحقيقية للوجود في جانب ، والفلاسفة في جانب ، فلا يد لهم في تكوينها

***

قد تبطل النظريات الفلسفية ، لكن لا بدَّ للإِنسان من فلسفةٍ يرى الحوادث من خلالها

***

آخر ما وصلت اليهِ الفلسفة ، أنهُ لا قدرة للعقل حتى الآن على فهم أسرار العالم

***

لكلّ حادث سر ، والسر هو الرُّوح المجهول في الأشياء

## ٥

## المبادىء العلمية

إنما العلم في الحقيقــة خروج من الإنسان على الطبيعة وجهد يحاول به التملص من القوى العمياء التي يئن تحتها

* * *

كان الإنسان في أول أمره يرى تسخير الطبيعة إياه قدراً مقدوراً . فلما تمكن بالعلم من تحليل الاقدار ، جعل يجردها شيئاً فشيئاً من صبغتها القدرية

* * *

اللزوم شيء والقدر شيء آخر ، فقد يتبين من تعرف لزوم الأمر أنه غير مبرم

* * *

قالوا ان علة نظام الكون سابقة في الأزل . والواقع أنه ثمرة التوازن اللازم بين القوى التي يتكون منها

* * *

حياة الحقائق العلمية مهما كانت دقيقة فهي قصيرة

* * *

مبنى كل علم مبادىء معدودة : فعلم الكيمياء قائم على مبدأ عدم تغير المجموع المادي، كما أن الطبيعة والميكانيكا قائمتان على مبدأ حفظ القوة

* * *

المبدآن الثابتان للكون هما المقاومة والحركة ، ومصدر الأولى السكون ، ومنشأ الثانية القوة

* * *

تتولد صور القوة وحوادث الحياة من اختلال التوازن الكوني الناشئ غالباً من اختلاف السموت [1]

* * *

تقدم العلم سريع في استقراء الحوادث ، وهو مستقر مكانه منذ زمن في بيان عللها

* * *

قدم العلم ثابتة ، لكنها على جزيرة صغيرة في بحر من المجهولات لا يدرك غوره

* * *

تقدم العلم إنما ينقل حدود المستحيل من مكان الى مكان في عالم اللانهائي

* * *

---

(١) جمع سمت

حسِب الماديون أن مذهبهم يحل محل الدين ، غير أن المادة أصبحت سرًّا من الأسرار كالأرباب الذين جاءت هي لتحل محلهم

* * *

ربما كان تقرير القضايا العلمية ستاراً يختفي من ورائه التردد في تقرير حقيقة المبادئ

* * *

من مميزات العالم على الجاهل معرفة الأول أين يبدأ الغموض

* * *

اذا وصلت نظرية علمية الى حد الجمود وقف الرقيّ من جانبها

* * *

يتولد عن العلم من الأسرار الغامضة ، أكثر مما يكشف لنا منها

# ٦

## المادة[1]

ظنوا قديماً أن المادة لا تفنى، وهي تزول على مهل بتفكك ذراتها المستمر

* * *

من متحصل تحوّل المادة عن ماديتها ما له خواص تجعله وسطاً بين الأجسام القابلة للوزن و بين الأثير الذي لا يقبله، وهما أمران كان العلم يفرق بينهما تفريقاً كلياً الى هذا العصر

* * *

ظنوا قديماً أن المادة جامدة لا تصدر منها إلا قوة تكون قد اكتسبتها من قبل، والواقع أنها مصدر هائل للقوة المسماة القوة الكامنة في الذرات وتلك القوة قابلة للانتشار بذاتها

* * *

أغلب قوات الكون وعلى الأخص الكهربائية وحرارة الشمس

---

(١) قال المؤلف: كانت القضايا التي ستمر عليك جديدة جداً لما صغتها أول مرة وهي خلاصة أبحاث وتجارب دامت نحو عشر سنين وضمنتها ثمان عشرة رسالة جمعت في مؤلفين وهما (تطور المادة) و (تطور القوى) وقد عدلت عن هذه الأبحاث لما كثرت نفقتها وعدت على مضض الى الابحاث النفسية

آتية من القوة الكامنة في الذرات والتي تنتشر من تحلل المادة

***

القوة والمادة صورتان لشئ واحد فالمادة صورة من صور القوة الكامنة في الذرات وهي أكثر استقراراً ، والحرارة والضوء والكهربائية وما هو من نوع ذلك صورة ثانية لتلك القوة ولكنها أقل استقراراً

***

فصل الذرات بعضها عن بعض، أو بعبارة أخرى إفقاد المادة ماديتها، عبارة عن تحويل صورتها المستقرة الى صورها غير المستقرة المسماة : كهربائية أو ضوءًا أو حرارة أو غير ذلك

***

توازن القوى الهائلة المتجمعة في الذرات علة استقرارها ذلك الاستقرار الكبير ، غير أنه يكفي الإخلال بهذا التوازن بواسطة جوهر كشاف مؤثر لتأخذ تلك الذرات في التفرق والانفكاك ، ومن هنا نرى الاجزاء السطحية من جسم ما تتفكك بتأثير بعض الأشعة الضوئية

***

لما كان الضوء والكهربائية وأكثر القوى المعروفة متولدة من

تحول المادة ، صح أن الجسم متى تشعع فقد جزءًا من جرمه بمجرد هذا التشعع ، فاذا استطاع أن يشعع قوته كلها تفانى بتمامه في الأثير

***

تتحول المادة الى قوة على صور شتى ومن المؤكد أن القوة تكاثفت في مبدإ التكوين فقط فصارت مادة

***

إن قانون التطور الخاضعة لحكمه الكائنات الحية ، سار أيضاً على الأجسام الجامدة البسيطة، فلا الأنواع الكيماوية ولا الأنواع الحية ثابتة أبداً

# ٧

## الحقيقة والخطأ

كانت حاجة المرء الى التحقق، أشد دائماً من حاجتهِ الى الحقيقة

* * *

قيمة الحقيقة عملاً ، على قدر درجة الاعتقاد بها

* * *

لا فرق بين أثر الاعتقاد السطحي ، في أفعال المرء ، وبين أثر الاعتقاد الصحيح

* * *

قد لا يتحرَّى المرء اختيار معتقده ، ولكنهُ يصعب عليهِ دائماً احتمال معارضته فيهِ .

* * *

لا يصلح المعقول الإلهامي ولا المعقول الديني لكشف حقائق غامضة بل لإِخفاء ما خيف منهُ من الحقائق

* * *

يكفي غالباً إلباس الخطإِ ثوباً جذَّاباً ليقبلهُ الناس حقيقة ثابتة

* * *

قد تحتاج الحقائق بعد تقرير صورَها الى زمن طويل في قبولها مما يضرّ باكتشاف الحقيقة النظر اليها من جهة تقدير فائدتها كما يفعل البراغماتيست[١]

* * *

ليست الحقيقة وحدةً ولا راحةً ولا منفعة ، ولكنها ضرورة

* * *

ما كان الإِنسان يعرف قبل العلم من الحقائق الاّ ما كان نسبيًّا أي لهُ متعلّق معلوم ، فكان مِن وظيفة العلماء أنْ أظهروا أنَّ هناك حقائق لذاتها

* * *

تتسلسل الكائنات في هذا العالم ولا تتأيَّد

* * *

ما من حقيقة أبدية عند الإِنسان ، كما أنهُ لا يوجد كائن أبديّ أمام الطبيعة

* * *

الحقيقة كالجسم الحي لا تعرف ماهيتها الاَّ بمعرفة حالاتها السابقة

* * *

---

(١) هم المتعسفون في الاستشهاد بالحوادث سعياً وراء تقرير المبادئ ( الناشر )

تتبدَّل الذوات والأشياء بلا انقطاع . ولكلّ أمرٍ وَقَع ، حقيقةٌ واقعة تلحق بهِ

* * *

الحقيقة مرحلة عرضية من طريقٍ لا نهاية لهُ

* * *

من الحقائق ما هو حقيقة مطلقة من حيث حياتها ، وليس منها ما هو كذلك أبد الآبدين

* * *

كثير من الحقائق ينقلب خطأً بمرور الأيام

* * *

تختلف صوَر الحقائق باختلاف الأمزجة التي تتلقَّاها

* * *

اذا صيغ الخطأ في صورة حسابية صحيحة ، كان كبير التأثير . وأشدّ الناس جحوداً يعتقد أن للمعادلات الجبرية سرًّا عجيباً

* * *

كثيرٌ من الناس يستغني عن الحقائق ، وما من أحدٍ يستغني عن الخيال

* * *

خيال يعتبر صحيحاً ، مؤثر كالواقع

* * *

فقدان الخيال ليس دليلاً على معرفة الحقيقة

* * *

أغلب الرقيّ جاء من تشبُّثِ المرء بتحقيق خياله ، لا من جدّه في طلب الرقيّ نفسهِ

* * *

اذا سرى الخيال من الفرد الى الجماعة ، اكتسب قوة الحقيقة

* * *

ربما كانت فائدة الناس من الخطإِ ، اكبر من فائدتهم من الحقيقة

# ٨

## القصص والتاريخ

يسير التاريخ بعيداً عن المعقول . وقد يجري على نقيضهِ كثير من الحوادث يبقى غامضاً ، ما دام الاعتقاد سائداً بأن لها عللاً معقولة

* * *

لا هَمَّ للتاريخ بتحقيق مقدار انطباق المعتقد على المعقول. وانما همّهُ معرفة مقدار أثر ذلك الاعتقاد في نفوس أهله

* * *

كل جيل يتناول حياتهُ العقلية من الأجيال التي سبقتهُ ، فمعظم نسيج المستقبل من سُدى الحاضر

* * *

الأقاصيص أصحّ غالباً من التاريخ ، فهي تترجم مشاعر الأمة الحقيقية ، وهو يسرد حوادث متأثّرة بِعاقلة مَنْ يحكيها

* * *

لا سبيل الى كتابة التاريخ على وجهه الا اذا كان الكاتب

بعيداً من جميع الاحزاب ، حتى لا تكون له الاغراض التي هي قوام الحزبية

* * *

تنازع الحوادث النفسية قائد التاريخ . فان أكبرها راجع على الأكثر الى تنازع المعتقدات منه الى تضارب المنافع

* * *

الأثر الغالب في التاريخ آت من المشاعر والدين ، وقلما جاء من المعقول ، فمحرك الكون الحقيقي هو غير الواقع

# الكتاب الرابع

# الفكر والعمل

## ١

## العمل

العقل مفكر ، والاعتقاد فعّال

* * *

لو أن الانسان بدأ بالتفكير قبل العمل ، لانتهت دائرة التاريخ من زمن بعيد

* * *

الاعتقاد يبعث على العمل ، سواء بنى على الخيال أو على الواقع. والرجل لا عقيدة له ، كالسفينة لا دفة لها ، أو هو آلة بلا محرك.

* * *

اذا تمكن الاعتقاد بعث الى العمل ، وان كان باطلاً أو مستحيلاً.

* * *

انما يستدل على عقل المرء وخلقه بعمله

* * *

التفكر نافع ، وقد يجب العمل دون اطالة النظر . فأعظم نزعات الشجاعة ، كانت لقوم ما فكروا الا قصيراً

* * *

الأفكار مثل جميع مظاهر الحياة : علتها توازن غير ثابت متحوّل على الدوام

* * *

قلما تتحول الأفكار الكلية من المطالعة ، وانما الكتب تسجّل في الغالب تغيّر الأفكار

* * *

كل عمل متبوع بآثاره ، والمرء يدعو تسلسل هذه الآثار مقدوراً

* * *

علمك ما يجب عمله ، غير علمك بما أنت فاعل

## ٢

## أوهام الديمقراطية

يظن دعاة الديمقراطية أنها نظرية عقلية ، والحقيقة أن مبناها المشاعر والدين مما لا دخل للعقل فيه

***

الديمقراطية عند العامة شيء ، وعند المتعلمين شيء آخر

***

أول ما يفهمه العامة من الديمقراطية المساواة ، فلا يقولون بالاخاء بين الطبقات وليس لهم أقل عنـــاية بالحرية ، أما المستنيرون فظمأهم الى الحرية شديد ، وميلهم للمساواة قليل

***

ذاتية الديمقراطي الحقيقية فانية في فريقه ، فليس له شخصية الا بها

***

يمتاز علم النفس عن الديمقراطية بكونه يرى أن ذاتية المجموع المسمى أمة أحط بكثير من ذاتية الفرد

***

لا فرق بين تعدي فريق العمال في هذا الزمان، وتعدي الشرفاء ورجال الدين في الزمن السابق، مما تعبت الملوكيــة زمناً طويلاً في محاربته

***

كم من أمم تحتمل الاستبداد بلا عناء، ولا تطيق الحرية الا بالجهد، وهي على الدوام تبدي كراهيتها للأول وحبها للثانية

***

مبادىء الديمقراطية من فريق الأفكار التي يرتاح الانسان لإلزام الغير بها، ولا يرضاها لنفسه الا قليلاً

***

كلما سُطرت المساواة في القوانين، اشتد ميل الناس الى الفروق الظاهرة المميزة بينهم

***

حاجة الديمقراطية الى الزهو والظهور، من أغلى الحاجات ثمناً وأقلها نفعاً

***

السر في شدة الميل الى المساواة، هو في الغالب رغبة المرء في أن يتقدم على غيره، ولا يتقدم أحد عليه

***

المساواة نظرية صناعية ولَّدت كراهية كل تفوّق يبنى عليه مجد الأمة

* * *

عاقبة الديمقراطية اقامة حرب الطبقات المستمر، مقام حرب الأمم المتقطّع

* * *

الطبيعة لا تعرف المساواة، وما كان من رقيّ فسببه التفاوت المتزايد كل يوم

* * *

لا تميل الحضارة الى التسوية بين الناس، بل هي تزيد في فرجة الفروق دائماً

* * *

ادَّعت الديمقراطية للعلم قوة لا وجود لها الا في الخيال، وآل أمرها الى أن عبدته وهو رب كاذب

## ٣

## الأوهام الاشتراكية

الاشتراكية غاية مبدإ المساواة القصوى، وما هي الا حالة ذهنية أكثر من كونها مذهباً

***

الديمقراطية والاشتراكية بعيدان بُعداً سحيقاً عن بعضهما، وان كان الظاهر غير ذلك

***

الاشتراكية تدعو الى تسوية المقامات، فهي نقيض الديمقراطية في رأي المستنيرين الذين يقولون بأعلاء كلمة الكفاءة والنبوغ

***

ابهام المبادىء الاشتراكية احدى علل انتشارها، فمن حاجة المذهب أيّ كان أن لا يتحدد ويستبين الا بعد انتصاره

***

انتشار الاشتراكية راجع في الأكثر الى كونها صورة من صوَر مذهب (الحكومية)، وهي غاية الغايات لجميع الاحزاب السياسية في البلاد الفرنساوية

***

مما يكثر أنصار الاشتراكيــة ، قساوة بعض أصحاب المال وضعف أخلاقهم

* * *

اذا مالت الحكومة الى المغالاة في حماية الافراد ، قعدوا عن حماية أنفسهم ، وفقدوا فضيلة الهمة الذاتية

* * *

لما كانت المعتقدات لا تحتمل التكذيب ، وضعت جنّاتها حيث لا وصول اليها . وانما ضعفت الاشتراكية في كونها جعلت دار نعيمها في هذه الدنيا

* * *

السعادة المنكمشة ، وبعبارة أخرى المساواة في التسخير ، مما تبشر به الاشتراكية ، ليست خيالاً قويًا يأخذ بِلُبّ الأمم طويلاً

* * *

من لوازم تقدُّم الحضارة في هذا الزمان ، ايجاد منبوذين يكثرون يوماً عن يوم ، لا ينطبعون على عصرهم ، ولا ينفكون عن محاربته

* * *

اولئك هم السواد الأعظم بين الاشتراكين

* * *

كانت الثروة قديماً قائمة على جمود رأس المال في مكانهِ ، فأصبحت لا حياة لها الاَّ في تداوُلهِ ، أعني في الفطانة التي يقتضيها استخدامه.

* * *

ستفضي الاشتراكية الى استعبادٍ عامّ ، وكذلك شأن مذهب النقابات ، غير أن هذا محدود في دائرة منافع كل فريق بحسب مهنته ، فهو يمكّن الفرد من مغالبة استبداد الهيئة الحاكمة

* * *

السبب في مُعظم ما وصلت اليهِ الحضارة من الرقيّ ، أمور معدودة : هي الهمة الذاتية ، والمخاطرة ، والمسابقة ، وما كان من قبيل ما ذُكر ، مما ترمي الاشتراكية الى إعدامهِ

* * *

إقامة همَّة الجماعة وتبعتها ، مقام همَّة الفرد وتبعتهِ ، إنزالٌ للإِنسان الى أحطّ دركات الكفاآت البشرية

* * *

من المجاميع الإنسانية ما تفنى فيهِ روح الفرد ، وذلك تقهقرٌ تتطوَّرُ بهِ الأمة الى الوراء

* * *

ما خرج الإِنسان من الهمجيَّة الى الحضارة ، الاَّ بهروبهِ من مساواة العصور الأولى ، مما ترمي الاشتراكية الى ارجاعنا اليهِ

٤

## السِّلمْ والحرب

الحياة جهادٌ، والجهاد ناموس عام، ولو أن الناس كانوا سلميين لَما ارتقوا

***

لولا أنهُ لا رحمة في الطبيعة بالضعفاء ، لَسادت الوحشية ، ولَما انبثق شعاع واحد من نور الحضارة

***

الأمم التي يحق لها أن تجنح الى السّلمْ وتطيقهُ ، هي التي كثرت مدافعها

***

احكام الأهبة ، وقوة الاعتقاد ، وشدة كراهية العدوّ ، هي شروط الظفر في الحروب دائماً

***

الإحجام لتصوُّر نافلة الإقدام ، رَغبةٌ من أوَّل الأمر عن النجاح

***

اذا تألَّفَ الجيش مِن جنودٍ يُجادل بعضهم بعضاً ، ظفرَ بهِ الجيش من الهمج الذين لا قدرة لهم على النظر ولكنهم سباقون الى الطاعة من غير جدال

* * *

الخوف من الهزيمة يزيد التعرّض لها ، وحمل الجيش على الاعتقاد بأرجحيته يُضاعف شجاعته وحظّه في النصر

* * *

شجاعة الفرد أندر من شجاعة الجماعة

* * *

قد تكون عاطفة الميل وحدها ، سبب المحبة بين الأفراد . وأساس المصافاة بين الجماعات ، المنافع المادية ، تدوم بدوامها ، وتنعدم بانعدامها

* * *

منافع الأمم الاقتصادية تحملها على حُبّ السلام . ولكن اختلاف المشاعر والمعتقدات ، يدفعها دائماً الى الخصام

* * *

لو أن هناك أمة سلمية بطبيعتها ، لَمُحيَتْ من التاريخ على عجل

## ٥

## الثَّوْرات

أبقى الانقلابات ما كان في المعقولات

***

أساس الانقلابات العلميـة ، تصوُّرات عقلية . أمَّا الثورات السياسية والدينية ، فمنشؤها مشاعر ومعتقدات وأفكار عامة

***

تتأثَّر حياة الأمم من الانقلابات العلمية ، اكثر كثيراً من الثورات السياسية

***

قد تبنى الثورة السياسية في أول أمرها على اعتبارات معقولة ، لكنها لا تنتشر الاّ بضغط المشاعر والمعتقدات والجماعة ، مما لا دخل لشيء من العقل فيه

***

الثورات والحروب دليل على انتقال تنازع القوى النفسية من عالم الكمون الى عالم الظهور

***

ليست الثورة على الدوام حادثاً ينقضي متبوعاً بحادث يبتدي ، بل قد تكون حادثة واحدة مستمرة سريعة الخُطى

***

تشدُّد الأمة في الاحتفاظ بالتقاليد ، يُسلّمها الى الثورة العنيفة ، لأنها لا تقدر على التطوُّر فتضطرّ الى التحوُّل فجأة

***

الشقيّ مَنْ أُلقي في قلبهِ أنهُ شقي ، وكذلك يفعل القواد ليضرموا نار الثورة في النفوس

***

يظنُّ قوَّاد الثورة أنَّ العقل رائدهم ، وما هُم الاّ مُسيَّرون بمشاعر ، ومعتقدات ، ورُوح جماعات لا يتنبَّهون لها

***

العدوى الفكرية أعظم البواعث على انتشار روح الثورة

***

الجماعات محط الثورة لا مصدرها

***

أساطين الثورة : أفكار ، وقوّاد ، وجند ، وجماعة

***

كل ثورة ناجحة تقوم بها العامة ، رجوع وقتيّ الى الهمجية ، لِما فيها من انتصار الشهوة على العقل ، وتخطّي القيود الاجتماعية التي هي الفارق بين المدنيّ والهمجيّ

٭ ٭ ٭

لا تذهب الثورة ببناء شاده العقل جيلاً بعد جيل ، وانما تنال من صورتهِ فقط

٭ ٭ ٭

أثر الثورة القريب ، الخروج من رق الى رق

٭ ٭ ٭

ليست الاصلاحات الاجتماعية الكبرى من عمل الثورات ، بل لها ، كالتغيرات الجيولوجية ، أسباب صغيرة تتوفر على مهل

٭ ٭ ٭

يطلب السواد الأعظم من الناس أن يُساسوا لا أن يثوروا

٭ ٭ ٭

قلّما تعقل الأمة شيئاً مع الثورة التي تقوم بها

٭ ٭ ٭

لا تدرك الأمة سبب ثورتها إلاّ بعد أن تكون هذه انطفأت منذ زمن طويل

٭ ٭ ٭

من السهل نزول الملك عن عرشهِ ، لكن المبادئ التي يمثّلها تدوم من بعدهِ ، فأغلب الثورات انما تأتي بملوكية بدل أخرى

***

اذا تفككت روابط الجيش فانذر الأمة بالثورة ، وقد ماتت الملوكية في فرنسا يوم تمرَّد الجند فقعد عن حماية الملك

***

الثورة عند بعض الناس حالة عقلية بقطع النظر عن محلّها ، واذا كان هذا مصدرها فلا شيء يطفيء نارها

***

الغالب أن سبب الثورة المقبلة نهاية مُعتقد مُدْبِر

# ٦
# حكومة الأُمة

ما حكومة الأُمة الا حكومة طائفة من الزعماء

* * *

أبعد ما يرمي اليه خيال المتسوّسين ، اعتبار الأمة إلهاً معصوماً لا يُسأل عما يفعل

* * *

شرط بقاء الحكومة الديمقراطية ، عملها بالأفكار الباطلة السائدة في الجموع

* * *

الحكومات الديمقراطية مسيرة على الدوام بالمغالاة والتظاهر بمحبة الإنسانية والخوف

* * *

لا انصاف ولا تسامح في حكومة الأمة ، لأنها خاضعة لشهوات كثيرة ، وهي لا تدوم الا بالإيغال في الاستبداد

* * *

استبداد الفرد أقل عسفاً ، حذرَ التبعة ، من استبداد الجماعة ، اذ لا تبعة عليها

* * *

من السهل قلب الاستبداد الفرديّ ، ولا حيلة للمظلوم من استبداد الجماعة

* * *

ليس الظلم هو المكروه غالباً ، بل المكروه دائماً هم الظالمون

* * *

أقسى المظالم محتمل، اذا جهل مصدره

* * *

لا يستقيم أمر حكومة الأمة ، الا اذا ساد فيها روح اليعاقبة[١]

* * *

تتولد روح اليعاقبة من ضيق الفكر ، وتطرف الشهوة وثورة المعتقد وعدم قابلية التعقل الصحيح

* * *

ليس اليعقوبيّ من أهل النظر العقليّ. بل من أهل الاعتقاد ، فهو لا يحاول مطابقة معتقده للعقل . بل يعمل على ادماج العقل في معتقده

* * *

تنقسم بعض الأمم من حيث السياسة الى يعاقبة لا يفقهون للماضي سرًّا ، والى محافظين لا يدركون ضرورات الحاضر

* * *

---

(١) فريق من أهل الثورة الفرنساوية اشتهر بالعنف والقسوة

سياسة الجمع منحطة دائماً ، وليس لحكومة الأمة الا هذه السياسة

* * *

لولا أن الضرورات الاقتصادية تصد من شهوات حكومة الأمة ، لكانت يدها معول خرابها

* * *

تبدأ الديمقراطية اذا انتصرت بهدم الطبقات الممتازة قديماً ، ثم توجد طبقات ممتازة مرة أخرى

* * *

جرائم الملوك لا تعد بجانب آثام الأمم

* * *

ورثت حكومة هذا العصر في نظر الجموع سلطان الملوك أيام كانوا ظل الله في الأرض

* * *

لِطَيْف الخوف شأن كبير في حكومة الأمة ، فالخوف من الجيش ومن الكنيسة ومن العمال ومن الموظفين ، هو الذى يملي أكثر قوانيننا منذ عشرين عاماً

* * *

سلطة الحكومات الديموقراطية التي تنتقل وزاراتها مسرعة من وزير الى وزير ، بيد المصالح التابعة اليهم . فالوُزَراء يحسبون أنهم يحكمونها ، وهُم بها محكومون

* * *

كلّما ضعفت الحكومة ، عَظُم سلطان فريق الموظفين

* * *

ما أسرع الفوضى الى أمة ، اذا حلّتْ فيها كلمة الجماعة محلّ كلمة القانون

* * *

يخفّ عسف حكومة الأمة بقلّة ثباتها ، لأنَّ سرعة تعاقُب الأحزاب في دست الحكم ، يجعل ظلم كلّ منها سريع الزوال

* * *

إمَّا تصير الحكومة الديموقراطية هيمنةً عسكرية ، وامَّا تؤول الى حكومة ذوي الأموال . وتلك صورة مِن أشدّ صوَرِ الاستبداد ظلماً

* * *

لا يُستدلّ على حقيقة حال الأمة السياسي بدستورها ، ولا بقوانينها ، وانما مقياس ذلك في المقابلة بين شأن الحكومة وشأن الأفراد في الأعمال العامة وفي الأعمال الخاصة

* * *

ترى حكومة الأمة أنّ اقفال المعابد أقلّ ضرراً من اقفال حانات الخمور ، وسترى أن الأوّل أعظم خطراً

* * *

أمة تنشد المساواة على الدوام ، هي قاب قوسين من الاسترقاق

# ٧

## روح السّياسة

المسائل السياسية في هذا الزمان، شبيهة بأسئلة أبي الهول المذكور في القصص القديمة: إمَّا أن يحلّها مَنْ يُزَاوِلها، وإمَّا أن يُغتال

* * *

لا يدرك السياسة مَنْ جَهِلَ رُوح الشعوب والأمم والأفراد والجماعات

* * *

الأمة وحدة ذات قُوى متنافرة تحتاج الى التوازُن. فإذا اختلَّ توازُنها بَدَت الفوضى

* * *

تنحصر السياسة في أمرَين: عِلمٌ وبَصَر

* * *

الحكومة بِنت عصرها، لا أُمُّهُ

* * *

اذا لم يكُنْ من القُوى ما يمهّد للذرات الطبيعية والخلايا الحيَّة والأفراد البشرية طريق فعلها، فهي عثير لا فائدة منهُ

* * *

سلطان الحكومة بخضوع المحكومين طوعاً ، أكبر من سلطانها بقوّتها

* * *

ما عرفت الأمم حتى الآن من أشكال الحكومات إلاّ أثرة الفرد أو أثرة الجماعة ، والثانية كانت على الدوام أقسى من الأولى

* * *

العلم بالنتائج البعيدة للأعمال السياسية متعذّر ، ولهذا كان الشغف بالإصلاحات الكليَّة خطراً كبيراً

* * *

لا تنبت الحوادث السياسية فجأة ، ولكنها نتيجة سلسلة أسباب سابقة

* * *

عَدُّك الحادث لا مفرَّ منهُ ، يجعلهُ قضاءً محتوماً

* * *

الفوز في السياسة كما في الحياة لأهل اليقين ، وقلّما فاز المترددون

* * *

ضُعف ثقة طائفة بحقوقها يضيعها كما وقع للشرفاء قديماً ، وما هو واقع لأهل الطبقة الوُسطى حالاً

* * *

الأمور المعروفة الواضحة أقلّ أهمية من التي يغشاها الإبهام . سيَّان في ذلك السياسة والحياة الفردية

***

لا تتولد الحرّية بنقل الأثرة من يدٍ الى أخرى

***

ليس ضرر الحكومة المطلقة من المستبد بالأمر فيها ، بل من ألوف صغار المستبدّين الذين يتقاسمون سلطانه

***

اختلاط السلطات نتيجة اختلاط الأفكار

***

النظريات السياسية كالمعتقدات الدينية ، لا ينبغي الحكم عليها من جهة انطباقها على العقل ، بل من حيث أثرها في الناس

***

كثير من الخطإِ السياسيّ صادر عن نظريات صحيحة عقلاً

***

عدم الأفكار الرئيسية في السياسة ، أقلّ ضرراً من الأفكار الباطلة

***

زوال الحكومات بخطأها ، أكثر من زوالها بفعل أعدائها

***

لولا أنَّ استبداد الأحياء محدودٌ باستبداد أسلافهم فيهم ، لتجاوَزُوا فيهِ كلَّ حدٍّ

# ٨
# فنّ الحُكم

الاجتماع بلا وازع متعذّر ، كما أنهُ لا نهر الاّ بضفاف تحصر تيّار مياهه

* * *

أنجع الوسائل في هدم مبدإ السلطة ، إلفات الناس الى ما لهم من الحقوق ، وإغفال تذكيرهم بما عليهم من الواجبات . فكلٌّ على استعداد للأخذ بالأولى ، وقليلٌ يأبه للثانية

* * *

لا يكفي أن تهتم الحكومة بمنافع الأمة المادية ، بل لا بدَّ من العناية أيضاً بآمالها

* * *

السلطان الأدبيّ لا يُقاوَم بالقوانين ولا بالجند

* * *

لا يسوس الناس الاّ مَنْ عرَف أنهُ لا تَلازُم بين تطوُّر النفس الشاعرة وتطوُّر النفس العاقلة ، وأنَّ الواحدة منهما لا تتأثر بالأخرى الاّ قليلاً

* * *

من أسرار فنّ سياسة الأمم استخدام نزعات النفس الشاعرة والنزعات الدينية وتوجيهها في طريقٍ معقول

* * *

يحتاج الفكر الجديد الى سندٍ يتكيء عليهِ حتى ينتشر، فاذا ما ثبت صار متكأً

* * *

ينبغي للوازع أن لا يشارك قومه في شهواتهم، لكن يجب عليهِ أن يكون على علمٍ بها

* * *

سياسة الأمة متعذّرة على مَنْ جَهل أنَّ مِنَ المعتقدات الباطلة عقلاً، ما هو أفعل في الناس من الحقائق الناصعة

* * *

من الخطر مُعاداة الدين . وكل حكومة تضطهد الأمة في معتقدها هالكة من يد هذا المعتقد

* * *

ينبغي للحكومة أن تبتعد عن الاضطهاد، ولو لم تقصد من عملها الاّ المنفعة الحقة، لأن العنف يفيد المذاهب المضطهَدَة أكثر مما ينفع مضطهِديها

* * *

وظيفة العالِم قتل الأوهام، ووظيفة السياسيّ استخدامها

* * *

اذا عمدت الحكومة الى متابعة الرأي العام ولم توجههُ ، بطلت سيادتها

* * *

سلطانٌ غير موثوق بهِ ، يوشك أن تزول حرمته

* * *

اذا تفرّقت التبعة فهي الإباحة

* * *

استخدام السلطان لفائدة طائفة يزيد في جشعها ، ولا تلبث أن تنقلب عدوّة لصاحبه .

* * *

من وسائل فنّ الحُكم ، اجتذاب قوّاد الاغلبيات أو معارضتهم بأمثالهم

* * *

لا يفلّ الزُّعماء الاّ الزُّعماء

* * *

من السهل تمزيق روح الجماعة لأنها عرضية ، لكن من المتعذّر إماتة روح الأمة لأنها روح دائمة

* * *

الإرجاء للاستعداد حكمة ، كما قال (مكيافيل) . لكن من الخطر أن يكون الغرض منهُ ترك تمهيد السبيل للزمن

* * *

عدم الرضا علة المجهود ، فما طمحت الى الرقيّ نفس راضية برِزقها

* * *

ينبغي للحكومة أن تجعل من الأخلاق سدوداً، قبل أن تصير هذه ضرورة حالّة ، ولات حين بنائها

* * *

اذا لاح وجوب التسليم ، وجب أن لا ينتظر بهِ حتى لا يكون مهرب منهُ

* * *

مِن عوامل التفريق بين الأمم ، مذهب حُبّ الانسانيّة والخوف . ولا عذر لمن تصدَّى للحكم في الأخذ بهما

* * *

التساهل دائماً أمام التهديد ، والطرق القهرية ، يولّد في النفوس اعتقاداً بأن المطالب تُنال من طريق الوعيد أو التخريب

* * *

التساهل لا يمنع حرباً لزمت ، ولكنهُ يزيد في نفقتها ويكثر من ضررها

* * *

عقوبة صارمة موقتة ، أفضل من عقوبة هينة مستمرَّة

* * *

انما يفيد الإِرهاب في زجر النفوس ، اذا لم يَطُلْ أمَدُهُ

* * *

حكومة تعوَّدت التحالف مع الاضطراب ، مقتولة بِهِ

* * *

اذا تعذر حكم الأمة طبقاً لمبادىء صحيحة ، وجب التعويل على حكمها طبقاً لما اتفق على أنهُ صحيح

* * *

من الخرق معارضة اندفاع الأمة ؛ بل الحكمة تقضي بتحويله شيئاً فشيئاً

* * *

الرجل الممتاز يعرف كيف يستخدم القدر ، كما يستخدم الربان الرياح من أي ناحية هبَّتْ

* * *

لكلّ حادثٍ ظهر أسبابٌ خفيَّة اقتضتهُ ، مَنْ لم يستطع استكناهها جاهل بفنّ سياسة الأمة

* * *

السياسة التي لا تعني الاّ بالحاضر ، سياسة منحطة

* * *

سلامة الذوق والخُلُق ، أنفع غالباً للسياسيّ من حدة الذكاء

* * *

لا دوام لمجتمع ان لم يكُنْ لهُ أفكار ثابتة ، ولا يترقى الفرد الاّ بتطوُّر أفكاره

***

الحاضر مثقَّلٌ بالماضي ، فمن أراد النظر الى ما هو آتٍ ، وجب عليهِ أن يذكر ما فات

***

التبصُّر مفيد ، والتقية أفيد : ذاك يعصم من المفاجأة ، وهذه تعصم من آثارها

***

سياسيٌّ لا بصر فيهِ ، محدِثُ أقدارٍ كبيرٍ ضررها



# فهرست

## الكتاب الاول

### الحياة الشاعرة

صفحة

# الكتاب الثانى

## الحياة الاجتماعية

صفحة

# الكتاب الثالث

---

# الحياة القومية

---

صفحة

# الكتاب الرابع

# الفكر والعمل

صفحة

# شرح القانون المدني

تأليف المرحوم احمد فتحي باشا زغلول

هو أول شرح وضع للقوانين المدنية المصرية باللغة العربية .
وقد بدأه واضعه بتفصيل عن الأحوال الشخصية التي يرجع اليها في تطبيق المعاملات بمصر وطبق أحكامه على أحكام الشريعة الغراء في أهم مواضعه وعلى أحكام القوانين الأجنبية التي استقى منها مصادره

وختم الشرح بفهارس للأبواب وللكلمات مرتبة حسب الحروف الهجائية وللمواد وللقوانين المختلفة التي ورد ذكرها في سياق الشرح

# سر تطور الأمم

تعريب المرحوم احمد فتحي باشا زغلول

للدكتور جوستاف لوبون شغف بدراسة الأحوال النفسية للشعوب والجمعيات وهو يعد أول باحث في هذا الموضوع الذي يؤذن بفن جديد في الفلسفة والسياسة

وقد بحث المؤلف في هذا الكتاب عن أسباب الانقلابات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي غيّرت من أحوال الأمم وردها الى مناشئها الفلسفية بدراسة أخلاق الشعوب وأحوالها النفسية مستشهداً بوقائع التاريخ لإثبات صدق نظرياته

وهذا الكتاب من سلسلة كتب للمؤلف ذاته بدأ بترجمتها المعرب رحمه الله فأخرج منها ( روح الاجتماع ) وهذا الكتاب وحالت المنية دون أن يتم الباقي

وسر تطوُّر الأمم من خير ما كتب الكاتبون الاجتماعيون في هذا العصر .

# رسالة من امير الى سلطان

## تعريب المرحوم احمد فتحي باشا زغلول

لما اعتلت أحوال الدولة العثمانية في أوائل النصف الثاني من القرن الماضي وتداعى بناء الملك وخاف الناس على الخلافة أن تذهب بها يد الجور وظلم الرعية كتب المغفور له مصطفى فاضل باشا بن المرحوم ابراهيم باشا بن المرحوم محمد علي باشا سنة ١٨٦٦ الى السلطان عبد العزيز رسالة تعد من أبدع الرسائل السياسية وأمتنها أبان له فيها مكان الداء من حكومته وأشار الى الدواء الناجع في اصلاحها ناصحاً مرة ومنذراً مرة ومحذراً أخرى بكلمات تطيب لها نفس الصادق الاخلاص لسلطانه والصادق الحب لأمته

عربها المرحوم فتحي باشا تعريباً جعلها من رسائل الأدب التي تقتنى بل وتحفظ على ظهر القلب

# سر تقدم الانكليز السكسونيين

## تعريب المرحوم احمد فتحي باشا زغلول

بهرت المدنية الانكليزية عيون الأمم وألفتت اليها أنظار الحكماء فتصدى لبيان أسباب رقي هذه الدولة الكبيرة (ايدمون ديمولان) من كبار الكتاب الفرنسيين مباحثاً في أحوالها الخاصة والعامة مرشداً الى تأثير ذلك في حياتها السياسية والاجتماعية ومقارناً بينها وبين أحوال أمته الفرنسية

ولكثرة أوجه الشبه بين الأمتين المصرية والفرنسية رأى المعرّب رحمه الله أن يترجم هذا الكتاب إرشاداً لأمته الى الأسباب التي ارتقت بها الدولة الانكليزية وحضاً لها الى التمسك بتلك الأسباب .

ويعد هذا الكتاب من وجهته الأدبية من أهم العوامل التي أثرت في تطوُّر الأفكار بمصر ومهدت لها سبيل السير في طريق حياتها الاجتماعية الجديدة


مكتبة ومطبعة المعارف